

د. محمد عمارة

الفتايات كان والإسلام

أهي حماقة؟.. أم عداى له تاريخ؟؟

مكتبة الشرق الدولية

القاتيكان.. والإسلام

أهي حماقة؟.. أم عدااء له تاريخ؟؟

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشؤون الفنية)

عمارة، محمد

الثائىكان . . والإسلام : أهى حماقة؟ أم عداء له تاريخ

محمد عمارة

ط ١ - القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧م

١٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

تدمك : 977-09-2043-6

١- الإسلام والمسيحية

٢٧، ٢١٤

أ - العنوان

رقم الإيداع ٩٧٣٠/٢٠٠٧م

الترقيم الدولى 6 - 2043 - 09 - 977 - I.S.B.N.

172.5
C3 I43
2007.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لماذا هذا الكتاب؟	٧
١- تمهيد	٩
٢- عداء . . . وافتراءات لها تاريخ	٢١
٣- الافتراء على رب العالمين	٣٧
٤- الافتراء على رسول الإسلام	٦١
٥- الخلط بين الجهاد . . وبين الحرب المقدسة	٧٩
٦- الافتراء على القرآن الكريم	٨٩
٧- وبعد	١٠٥
ملحق وثائقي	١١١
• نص محاضرة البابا بنديكت	١١٣
• صورة تصريح البابا شنودة الثالث حول الأسفار القانونية المحذوفة من [العهد القديم]	١٢٠
• صورة غلاف كتاب بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر»	١٢٢
المصادر والمراجع	١٢٥
سيرة ذاتية في نقاط	١٣١

لماذا هذا الكتاب؟؟

- فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ألقى بابا الفاتيكان - «بندىكتوس السادس عشر» - محاضرة عن علاقة العقل بالإيمان فى المسيحية . . وذلك بجامعة «ريجنسبورج» . . بمدينة «رايتسون» - الألمانية . .
- وكانت المفاجأة هى بدء البابا محاضرته بالهجوم على الإسلام! . . بل واستغرق الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة! . .
- ولقد طال «الهجوم البابوى» على الإسلام:
- ١ - الذات الإلهية . . التى زعم البابا أن مشيئتها - فى الإسلام - متسامية ، لا تخضع للعقل ولا للمنطق . . بل إنها - بزعمه - لا تلتزم حتى بكلمتها الخاصة!! . .
- ٢ - ورسول الإسلام ﷺ الذى زعم البابا أنه لم يأت إلا بكل ما هو سيئ وشرير ولا إنسانى . . ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف! . .
- ٣ - والخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة فى المسيحية - الحرب الدينية - والادعاء بأن الإسلام إنما يؤسس للعنف والإرهاب!
- ٤ - والافتراء البابوى على القرآن الكريم . . الذى وصف البابا آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام»!! . .

وعبر العالم كله . . أثارت محاضرة البابا - هذه - موجات من الغضب والرفض والاحتجاج والاستغراب . . حتى لقد تناولت مجلة «نيوزويك» - الأمريكية - التعليق على هذه المحاضرة ، فجعلت عنوان غلافها - عدد ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٦م -:

[بندىكتوس السادس عشر . . ماذا دهاه؟]

وقالت - النيوزويك - : «إن البابا تناول الإسلام بطريقة خرقاء» . .

● فهل كان هذا التوصيف لمحاضرة البابا هو التوصيف الدقيق؟ . .

● وهل هذا الموقف «الثاتيكاني - البابوي» من الإسلام هو مجرد «حماقة خرقاء»؟ . .

● أم أننا أمام تاريخ طويل من العداء الشديد للإسلام . . ومن ثقافة الكراهية السوداء لأمة الإسلام؟ . .

لدراسة هذه القضية . . والإجابة على هذه التساؤلات . . يصدر هذا الكتاب .

د. محمد عمارة

شوال ١٤٢٧هـ .

أكتوبر ٢٠٠٦م .

- ١ -

تمهيد

• عندما انتخب البابا يوحنا بولص الثاني [١٩٢١ - ٢٠٠٥م] بابا للقاتيكان، وحبراً أعظم للكنيسة الكاثوليكية - أكبر كنائس النصرانية (١, ١ مليار) . . - وأطل على رعيته، من شرفة كنيسة القديس بطرس - في ١٦ - ١٠ - ١٩٧٨م - أعلن:

«أن المسيح هو الحل» . . وسعى وراء «تنصير الثقافة» . . وذلك لمواجهة الواقع المسيحي الغربي الذي همشت فيه العلمانية المسيحية، حتى لقد جعلت الذين يؤمنون - في أوروبا - بوجود إله لا يتجاوزون ١٤٪ من السكان . . والذين يذهبون إلى القديس لا يتجاوزون ١٠٪، وهم في فرنسا - أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية - لا يتجاوزون ٥٪ - أي أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين!! . .

وفي مواجهة هذا الواقع ساد في القاتيكان اتجاه يدعو إلى مقاومة حظر انقراض المسيحية والمسيحيين! . .
• وعلى مستوى العلاقات الخارجية للقاتيكان نشط البابا وكنيسته على عدة جبهات، منها:

١ - الانخراط النشط مع أمريكا والغرب الرأسمالي في الحرب الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكي - تلك الحرب التي وصفوها بأنها «معركة من أجل الاستيلاء على عقول البشر»^(١) . .

وفي إطار العمل على هذه «الجبهة» زار البابا وطنه بولندا ١٩٧٩م . . وحرك نقابة العمال - «التضامن» - بزعامة «ليخ فاليسا» ضد الشيوعية وحكومتها . . وعمل على

(١) ستونر سوندرز [الحرب الباردة الثقافية] ص ٢٤ . ترجمة: طلعت الشايب . طبعة القاهرة ٢٠٠٢م .

إيقاظ القومية السلافية فى أوروبا الشرقية . . كما كان تشجيعه لـ «فالكلاف هافل» والمنشقين على الشيوعية فى تشيكوسلوفاكيا جزءاً من الحرب الباردة الغربية ضد الشيوعية . . . ويومها حذر رئيس الاستخبارات السوفييتية (كيه . جى . بى) «يورى أندروبوف» الزعماء الشيوعيين البولنديين من أنهم قد ارتكبوا خطأ فادحاً حين سمحوا للبابا بالعودة إلى وطنه زائراً! . .

● وفى ١٩٩١م امتدح البابا رأسمالية السوق الحرة، وأعلن «أنه على مستوى الأمم المنفردة والعلاقات الدولية، تعتبر السوق الحرة أكثر الأدوات فاعلية لاستخدام الموارد، والاستجابة للحاجات بفاعلية» . . وأقر «بالدور الشرعى للربح كمؤشر على أن شركة أعمال ما تقوم بعملها جيداً» . . و«حارب «لاهوت التحرير» وقساوسته» فى أمريكا اللاتينية» - أولئك الذين أرادوا إعطاء «بعد اجتماعى تقدمى» للمسيحية والإنجيل . .

● وفى إطار دور القاتيكان فى قيادة «الجهة الدينية» فى الحرب الباردة، كانت قد صدرت قرارات المجمع القاتيكانى فى ستينيات القرن العشرين، لجذب المسلمين تحت لافتات الحوار الكاثوليكى مع غير المسيحيين . . وتبرئة اليهود المعاصرين من دم المسيح! . .

٢ - وعلى جبهة التقرب من اليهود - خضوعاً للابتزاز الصهيونى . . واتساقاً مع تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع الإمبريالية الأمريكية، والمسيحية البروتستانتية - (المسيحية الصهيونية) - . . ولدور اليهود فى الحرب الباردة ضد الشيوعية . . بدأ القاتيكان التوجهات التى سميت «زراع المسيح فى إسرائيل»! . . والحديث عنه باعتباره يهودياً! . .

كما أعلن البابا يوحنا بولص الثانى - بمناسبة «سنة الفداء» - فى ٢٠ / ٤ / ١٩٨٤م - أن القدس هى شعار الوطن اليهودى! . . فقال:

«منذ عهد داود، الذى جعل أورشليم عاصمة لمملكته، ومن بعده ابنه سليمان الذى أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق فى وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون المدينة شعاراً لوطنهم!»!

● وكان البابا يوحنا بولص الثاني أول بابا كاثوليكي يزور كنيساً يهودياً - كنيس روما القديم - ١٩٨٦ م . .

● وفي ١٩٩٣ م أقام القاتيكان العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية . .
وجاء في مقدمة المعاهدة التي عقدت في ٣١ - ١٢ - ١٩٩٣ م - بين القاتيكان وإسرائيل - النص على «العلاقات الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودي»! . . -
بما يتضمنه هذا النص من «إلزام ديني» حتى للكاثوليك العرب بهذه العلاقة الفريدة مع الكيان الصهيوني!! . .

● وفي مارس ٢٠٠٠ م زار البابا إسرائيل . . وقدم اعتذاراً وندماً - غير مسبوقين من الخبر الأعظم المعصوم! - لليهود عما ارتكبته الكاثوليكية في حقهم - بسبب المعادة المسيحية للسامية - . . وكتب بذلك الاعتذار والندم «مذكرة» وضعها في شق بالحائط الغربي - (حائط المبكى) - بالقدس ، دعا فيها إلى الصفح عن الكنيسة الكاثوليكية للخطايا التي ارتكبتها في حق اليهود! . .

● وفي ٢٠٠٤ م استقبل البابا كبار حاخامات اليهود في القاتيكان . . وقال في حضرة كبير الحاخامات لطائفة اليهود الغربيين في إسرائيل - «ماتير لاو» -:

«حيثما ذهبت أقول دائماً: إن علينا - بني البشر - أن نهتم ونرعى أجيال المستقبل من إخوتنا الكبار، اليهود!»! . . فوصف اليهود بأنهم «الإخوة الكبار»! . .

٣ - كذلك قدّم البابا اعتذاراً للبروتستانت ، بسبب دور الكنيسة الكاثوليكية في حروب مرحلة ما بعد الإصلاح الديني - الحروب الدينية الكاثوليكية - البروتستانتية (١٥٦٢ - ١٦٢٩ م) . .

٤ - وفي ٢٠٠٤ م قدّم البابا اعتذاراً للصينيين عن حالات الظلم التي ارتكبتها الكنيسة في الصين . .

٥ - كما قدّم اعتذاراً للعالم كله عن انغطرس الكنيسة - كما في «مسألة تأديب «جاليليو» [١٥٦٤ - ١٦٤٢ م] . . واضطهاد الفلاسفة والعلماء بواسطة محاكم التفتيش . .

٦ - وحدهم المسلمون - ومعهم الأفارقة والهنود الحمر - الذين لم يقدم البابا لهم أي اعتذار . . لا عن الحروب الصليبية ، التي دامت حملاتها قرنين من الزمان [٤٨٩ -

٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م] ولا عن تحالف الكنيسة مع الإمبريالية الغربية في الاستعمار لعالم الإسلام . . ودورها في تنصير المسلمين . . وفي النهب والتدمير لإفريقيا عبر خمسة قرون! . . وفي الإبادة لسكان وحضارات أمريكا وأستراليا ونيوزيلاندا . .

● ولقد زار البابا يوحنا بولص الثاني مصر وسوريا ٢٠٠٠م . .

وفي مصر منعه رهبان دير سانت كاترين - في سيناء - وهم من الروم الأرثوذكس - من دخول الدير للصلاة - لأنه بنظرهم غير مسيحي! - فصلى في الشارع أمام الدير! . . بينما استقبله شيخ الأزهر بالمطار . . وفتح له أبواب مشيخة الأزهر الشريف . .

وعندما زار سوريا، صحبه الرئيس بشار الأسد إلى داخل المسجد الأموى فزار قبر النبي يحيى عليه السلام «يوحنا المعمدان» . . ويومئذ رفض البابا زيارة قبر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م) - وهو في حرم المسجد الأموى - وذلك حتى لا تكون زيارته هذه إشارة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية!! . .

● وفي عهد بابوية يوحنا بولص الثاني [١٩٧٨ - ٢٠٠٥م] تم تعيين جميع الكرادلة في الكنيسة الكاثوليكية من جديد . .

● وتكونت «أرثوذكسية كاثوليكية جديدة» داخل الكنيسة . . وساد تيار «الخوف من الإبداع» . . وكان الكاردينال الألماني «جوزيف راتزينجر» هو المسئول عن قيادة هذا التيار . .

فلقد تولى - على امتداد ربع قرن - من ١٩٨١م حتى انتخابه بابا - بنديكتوس السادس عشر - في إبريل ٢٠٠٥م - منصب «فرض النقاء العقائدى»، الذى هو امتداد لمنصب «المفتش الأكبر» . . الذى هو امتداد «لمحاكم التفتيش»! . .

وتولى عمادة كلية الكاردينالات . .

ويتوجيه منه، وتحت قيادته، ضيقت «لجنة الكرادلة لحماية مبادئ الدين» حدود الانشقاق المسموح به . . وتم استدعاء من شك فى أنهم يقوضون الدين إلى روما للخضوع للمساءلة . . وأعلن أن عشرة من الكرادلة لم يعودوا صالحين لتعليم الطلاب الكاثوليك . . وأمر آخرون بمراجعة كتبهم! . .

• وفي ٢٠٠٠م صاغ الكاردينال «راتزينجر» وثيقة «المسيح المهيمن»، التي أعلنها البابا يوحنا بولص الثاني.. والتي أعلن فيها على الملأ «أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هي الكنيسة الوحيدة الحقيقية ليسوع المسيح.. وأن الخلاص للكاثوليك دون سواهم».

- وهي وثيقة معادية للتعددية الدينية حتى في إطار المسيحية!! -..

• كما عرف عن الكاردينال «راتزينجر» أنه يؤمن بكنيسة أصولية من الملتزمين..
وليس «بكنيسة شعبية» تضم غير الملتزمين من ذوى الأصول المسيحية..

• وموت البابا يوحنا بولص الثاني - في إبريل ٢٠٠٥م - فقد معظم كبار الرسميين في القاتيكان وظائفهم.. ولم يبق سوى القليلين.. ومنهم:

١ - الياور «الكاردينال أفسباني إدواردو» - الذي أعلن نبأ وفاة البابا.. وقام بواجبات المدير الانتقالي..

٢ - والكاردينال «جوزيف راتزينجر» - الذي ألقى العظة.. وتلا قصة حياة البابا الراحل في الجنازة..

• وعند انتخابه بابا - بنديكتوس السادس عشر - كان اختياره لهذا الاسم ذا دلالة على توجهه الفكرى.. فبنديكت الرابع عشر [١٧٤٠ - ١٧٥٨م] كان هو البابا المعادى للعقلانية وللتنوير!!.. وبنديكت الخامس [٤٨٠ - ٥٤٧م] كان الراهب والبابا الذي وضع أسس الرهبة الغربية، التي ضمنت تجذر المسيحية في الغرب.. والمتبعة حتى الآن.. (١).

• وفي ٢٠٠٤م كان البابا بنديكتوس السادس عشر - قبل توليه البابوية.. ومن موقع الرجل القوى في القاتيكان - قد أدلى بتصريح أعرب فيه عن مناهضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبى؛ لأنها دولة مسلمة!! (٢)..

(١) انظر فيما تقدم من حقائق ووقائع «نيوزويك» - الأمريكية - أعداد: ١٢ - ٤ - ٢٠٠٥م، ١٩ - ٤ -

٢٠٠٥م، ٣ - ٥ - ٢٠٠٥م، ٢٦ - ٩ - ٢٠٠٦م، ٢٧ - ٢ - ٢٠٠٧م.

(٢) صحيفة (المدنية) - السعودية - ملحق (الرسالة) في ٦ - ١٠ - ٢٠٠٦م.

● وفي وصف جنازة البابا يوحنا بولص الثاني - إبريل ٢٠٠٥م - تحدثت مجلة «نيوزويك» - الأمريكية - عدد ١٩ - ٤ - ٢٠٠٥م - عن أن المطلوب:

«بابا يواجه الإسلام:

لأن الإرهاب العالمي - [الإسلام] - يجعل مشكلات شيوعية الكتلة الشرقية بحدثة التليفزيون الأبيض والأسود!

وسيتطلب ظهور الإسلام كقوة - في شكلية الأصولي والمعاصر - حبرا أعظم يتمتع بمعرفة لاهوتية ودبلوماسية رفيعة . .

إن على البابا الجديد أن يتعامل مع التحدى الإسلامى فى قلب أوروبا، حيث يشكل المهاجرون المسلمون ونسلهم الآن قوة اجتماعية ودينية جديدة لم يكن على الكنيسة أن تواجهها من قبل!

وبهذا «الإعلان» عبرت «النيوزويك» عن المهام الجديدة للبابا الجديد فى المرحلة الجديدة . . فدور البابا السابق فى الحرب على الشيوعية لا يقارن بالدور المطلوب من البابا الجديد فى الحرب على الإسلام!! . .

● وعقب تولى الكاردينال «جوزيف راتزينجر» للبابوية - البابا بنديكتوس السادس عشر - :

١ - ألغى لجنة «حوار الأديان» وسماها «حوار الثقافات»!! . . وذلك تطبيقاً لوثيقة «المسيح المهيمن»، الراضة لوجود ديانات حقيقية غير الكاثوليكية!

٢ - كما ألغى صدور مجلة «إسلامو كريستيانا»!^(١)

وعند استقباله لممثلين مسلمين فى مدينة «كولونيا» - الألمانية - قال لهم:

«إن على المسلمين نزع ما فى قلوبهم من حقد، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف»!!^(٢)

(١) أسامة سرايا [الأهرام] - مقال «عاصفة بابا الفاتيكان» فى ١٣ - ١٠ - ٢٠٠٦م.

(٢) صحيفة [المدنية] - السعودية - ملحق [الرسالة] - فى ٦ - ١٠ - ٢٠٠٦م.

● كما استقبل - فى سبتمبر ٢٠٠٥م - الصحفية الإيطالية «أوريانا فالاشى» - التى اشتهرت بكتاباتهما العنيفة والعنصرية والحاقدة ضد الإسلام والمسلمين!^(١).

● وفى ١٨ - ٤ - ٢٠٠٦م نشرت «لوموند» - الفرنسية - مقالاً للكاتب «هنرى تنك»، تحدث فيه عن «انشغال البابا بتقدم الإسلام». . . جاء فيه - على لسان البابا -:

«إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية . لا ينتمى إلى الوحي نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية . . .!»^(٢).

● كما ألفت - بالاشتراك مع الكاتب الإيطالى «بيرا» - كتاباً عنوانه : [بلا جذور . الغرب . النسبية . الإسلام والمسيحية] . . . أعلن فيه عن مخاوفه . . . وأهمها ثلاثة مخاوف :

أولها : تراجع معدلات المواليد فى أوروبا المسيحية . . . وأن عدة شعوب - خصوصاً الألمان والإيطاليين والإسبان - ربما لا تعد موجودة قبل نهاية القرن الحالى . . . أو تصبح أقليات داخل دولها . . .

وثانيها : أن الذين سيحلون محل هذه الشعوب المسيحية الأوروبية المتقرضة هم المهاجرون المسلمون من إفريقيا والعالم العربى . . . الأمر الذى يبعث على القلق من احتمال أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الإسلام فى القرن الواحد والعشرين . . .

وثالثها : تحول مسيحية غالبية الأوروبيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية فى يوم من الأيام!^(٣).

● أما على جبهة علاقة البابا بنديكتوس السادس عشر باليهود . . . فلقد سار على الطريق الذى سبق للقاتيكان السير فيه . . . التقرب لليهود . . . والاستجابة لابتزازهم . . . طريق «زرع المسيح فى إسرائيل» بدلاً من السعى لاعتراف اليهود بالمسيحية والمسيح! . . .!

(١) السيد ولد أباه - صحيفة [الشرق الأوسط] - مقال «البابا والإسلام: الخلفية التاريخية للخطاب» فى ٢١-٩-٢٠٠٦م.

(٢) د. عمار الطالبي - صحيفة [البصائر] - الجزائرية - فى ١٠-٧-٢٠٠٦م.

(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] - ملحق «متندى الكتب» فى ٢٦-٤-٢٠٠٦م.

ويبدو أن الخبر الأعظم للكاثوليكية - وله تاريخ في الجندية بالجيش النازي - يدرك احتمالات الابتزاز اليهودي له بسبب هذا التاريخ . . فرأيناه يتحدث عن اليهود باعتبارهم «إخوتنا الأعزاء» - كما سبق وتحدث عنهم سلفه باعتبارهم «إخوتنا الكبار»! . . بل لقد بلغ الأمر الحد الذي جعل هذا البابا - بنديكتوس السادس عشر - عندما كتب كتاباً عن السيدة مريم - عليها السلام - أن جعل عنوانه: [ابنة صهيون]!!!^(١).

وإذا كان بعض «الواهمين» أو «الجاهلين» أو «المخدوعين» بحوارات القاتيكان الدينية مع المسلمين، قد صدم بهذا الموقف البابوي من الإسلام . . فإن هذا الموقف القاتيكاني لم يخرج عن كونه التطبيق لوثيقة «هيمنة المسيح»، التي تحصر الدين السماوي - ومن ثم الخلاص - في الكاثوليكية وحدها . .

فالحوار القاتيكاني مع المسلمين لم يكن سوى جزء من جهود الكنيسة الكاثوليكية لجذب المسلمين في الحرب الباردة لحساب الغرب «المتدين» ضد الشيوعية «الملحدة» . . ولذلك، لم تقم لهذا الحوار مؤسسات أو مشاركات إلا في البلاد الإسلامية السائرة في فلك المعسكر الرأسمالي الغربي . .

ولقد ظل القاتيكان - طوال سنوات هذا الحوار - وفي كل مؤتمراته - على موقفه الديني الثابت، الذي لا يعترف بالإسلام ديناً سماوياً . . ولا برسول الإسلام ﷺ نبياً ورسولاً . . ولا بالقرآن وحياً إلهياً . . وإنما يصنف الإسلام ضمن «الديانات الوضعية» - أي الثقافات الدينية - مثل البوذية والهندوسية والزرادشتية - بل ويجلس وفود المسلمين - في هذه الحوارات - إلى جوار وفود هذه الديانات غير السماوية!!

وفي المرات التي طُلب من ممثلي القاتيكان الاعتراف بسماوية الإسلام وألوهيته، جاء الرفض القاتيكاني - ومعه مجلس الكنائس العالمي - صريحاً وقاطعاً . . كما حدث في مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، الذي عقد بالقاهرة - في فندق «شيراتون هليوبوليس» في ٢٨، ٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م . . بدعوة من «المتددي العالمي للحوار» -

(١) د. عطاء الله مهاجراني - صحيفة [الشرق الأوسط] مقال «البابا وحديثه: من العصمة إلى التبسيط الساذج» في ٢٦ - ٩ - ٢٠٠٦م.

بجدة- و«مؤتمر العالم الإسلامي»- . . فلقد رفض مندوب القاتيكان- القس خالد أكشة- ومندوب مجلس الكنائس العالمي- الدكتور طارق متري- التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر؛ لأن فيه عبارة «الديانات السماوية . والقيم الربانية» قائلين: نحن لا نعتزف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا بالقيم الإسلامية قيماً ربانية!^(١).

ولقد تكرر هذا الإعلان- صراحة- على لسان القس الكاثوليكي «كريستيان فانيسين» في الحوار المسجل والمذاع- على الهواء- بإذاعة الـ B. B. C- القسم العربي- من مكتب القاهرة- في يوم الأحد ١٧- ٩- ٢٠٠٦م- في برنامج «حديث الساعة»، عندما قال: نحن لا نعتزف بأن الإسلام دين سماوى! . .

● ولقد انطلق البابا بنديكتوس السادس عشر في التخويف من الإسلام، من الواقع الدينى الذى تواجهه البابوية فى أوروبا والغرب . . واقع التراجع المسيحى مقارنة بواقع صعود الإسلام . . حيث:

- يسلم فى أمريكا سنوياً ٢٠,٠٠٠- رغم التضيق على الإسلام، الذى حدث عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م . .

- ويسلم فى أوروبا- سنوياً- ٢٣,٠٥٨- بمعدل ٦٣ يومياً . .

- بينما الذين يعتقدون بوجود إله فى أوروبا المسيحية ١٤٪ .

- والذين يذهبون إلى القديس فى فرنسا- أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية- ٥٪- أى أن الإسلام- فى فرنسا- (٥,٠٠٠,٠٠٠) هو الدين الأول، وفق هذا الإحصاء!! . .

● أما حال الكنائس:

- فهناك نقص فى الرهبان- بسبب العزوف عن العزوبة- . . ففى أوروبا: راهب واحد لكل ٢,٠٠٠، وفى إفريقيا: راهب واحد لكل ٤,٠٠٠ .

- وشيوع الشذوذ الجنسى بين رجال الدين وبين الأطفال! . . ولقد فتحت المخابرات

(١) صحيفة [الأسبوع]- القاهرة- فى ٥- ١١- ٢٠٠١م . وصحيفة [العالم الإسلامى]- مكة- فى ١٦- ١١- ٢٠٠١م . وصحيفة [عقيدتى]- القاهرة- فى ٦- ١١- ٢٠٠١م .

الأمريكية «ملفات» هذا الشذوذ في الكنائس الكاثوليكية الأمريكية، للضغط على الفاتيكان، وابتزازه عندما عارض السعى الأمريكى المحموم لغزو العراق ٢٠٠٣م.

- وفي أمريكا الشمالية انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠٪ عن خمسينيات القرن العشرين.. وثلثهم هم الذين يداومون على حضور القداس الأسبوعى.. وكانوا ضعفى هذا العدد قبل جيل من الزمان..

- و ٧٠٪ من كاثوليك الولايات المتحدة يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل- على خلاف موقف الكنيسة..

- و ٧٠٪ من كاثوليك روما - حيث الفاتيكان - يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج!..

- ولقد شرّعت حكومة بلدية «بوينس آيرس» - عاصمة الأرجنتين - زواج المثليين!
- ووافقت حكومات أمريكا اللاتينية على قانون الطلاق.. وعلى دعم اختيار المرأة فيما يتعلق بالإجهاض..

- والتحول من الكاثوليكية إلى الكنائس المشيخية والبروتستانتية والإنجيلية يتزايد فى دول أمريكا اللاتينية..

- وفى استطلاع أجرته مؤسسة «جالوب» - فى إبريل ٢٠٠٥م - ظهر أن ٧٤٪ من الكاثوليك يتصرفون - فى المسائل الأخلاقية - بناء على ضميرهم، وليس بناء على تعاليم الكنيسة.. و ٢٠٪ هم الذين يتصرفون أخلاقياً بناء على تعاليم الكنيسة!..

● وفى مقابل هذا الواقع المسيحى - الذى يقلق البابا والفاتيكان - يبرز الواقع الإسلامى، الذى يعلن امتياز الإسلام، ونجاعة الحلول الإسلامية..

- ففى جنوب إفريقيا - أغنى بلاد القارة السمراء - هناك ٥٠٪ من السكان مصابون بطاعون العصر - الإيدز.

- بينما لا أثر لهذا الطاعون فى الصومال المسلمة - وهى أفقر بلاد هذه القارة!..

- بل إن المسلمين - حتى في جنوب إفريقيا - بعيدون عن الإيدز! ..
- وفي البلاد الغربية المسيحية - حيث أعلى مستويات المعيشة والإشباع للشهوات
والغرائز في العالم - هناك أعلى نسبة من القلق والانتحار في العالم! ..
- بينما لا يوجد في البلاد الإسلامية - رغم الفقر الذي يطحن مئات الملايين - أى أثر
للانتحار! ..
- وكذلك الحال عند المقارنة بين انتشار الاكتئاب والاعتراب وعيادات الأمراض
النفسية في البلاد المسيحية . . وندرة ذلك في البلاد الإسلامية! ..
- وإذا كان الشمال المسيحي - وفيه ٢٠٪ من سكان الأرض - يستهلك ٨٦٪ من
خيرات هذا العالم . . فإن أكبر ثلاث تجارات في هذا الشمال المسيحي هي :
أولاً: تجارة السلاح . . وثانياً: تجارة المخدرات . . وثالثاً: تجارة الدعارة!!
وجميع هذه الوقائع والحقائق - وأمثالها - شاهدة صدق على إفلاس الكنائس المحلية
- التي خانَت مسيحيتها - . . وعلى صعود الإسلام . . بذاته . . رغم الحال البائس
لكثير من حكام عالمه! .. وعلى ظهور الحلول الإسلامية على جميع ما عداها من
الحلول! ..

عداء.. واقتراءات لها تاريخ

لهذا كله . . جاءت محاضرة بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - في جامعة «ريجنسبورج» - الألمانية - في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م - والتي فجرت الغضب الإسلامي - جاءت - هذه المحاضرة - في سياق من الحقائق والوقائع - التاريخية . . والمعاصرة - يغفل عنها الكثيرون . . كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية؛ بسبب حداثتها . . ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات، التي لا يتصور صدورها من «أستاذ للفلسفة» يتولى منصب الحبر الأعظم لحاضرة الكاثوليكية بالقاتيكان . . عندما يتحدث عن دين - كالإسلام - يتدين به مليار ونصف المليار من المسلمين . .

● لقد كان موضوع محاضرة البابا عمن «علاقة العقل بالإيمان» في المسيحية . . لكن الغريب - بل والعجيب والمريب - أن الرجل قد بدأ محاضرتة بالهجوم على الإسلام! . . بل ولقد استغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة!! - مائة سطر من أربعمئة سطر، هي جملة سطور النص الكامل للمحاضرة -!!^(١).

● وكان أخطر ما في هذه المحاضرة، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطي «مانويل الثاني» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] - كما حسب كثير من المعلقين - وإنما تعليقات البابا على الاقتباس! . .

لقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطي - في معرض ربط الجهاد الإسلامي «بالحرب المقدسة المسيحية» . وأورد الكلمات التي قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين:

(١) لقد اعتمدنا في تحليل هذه المحاضرة ونقدها على النص الأصلي والكامل الذي نشرت ترجمته العربية صحيفة غير متهمه، هي [وطني] - المسيحية - انظر عدد ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٦م.

«أرني ما الذي أتى به محمد من جديد؟! . فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف» .

ولقد وصف البابا الإمبراطور «مانويل الثاني» بالموسوعي! . . . وأغفل ذكر رد المثقف الفارسي المسلم على هذا الإمبراطور! . . . ثم مضى - معلقاً . . . ومؤيداً - فقال :

«لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه ﴿لا إكراه في الدين﴾ . وهي إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام، عندما كان محمد لا يزال مهدداً، وتعوزه القوة .

ولكن من الطبيعي كذلك - بالنسبة للإمبراطور - أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللثام» بشأن الحرب المقدسة، والتي ذكرت لاحقاً ودونت في القرآن» .

● وفي إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان - في المسيحية والإسلام - قال :

«إن القول الفصل في النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب .

ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية . . . ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا .

ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغي علينا التبعيد بشكل وثني أعمى!!

كانت تلك هي أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التي وردت عن الإسلام في محاضرة بابا الفاتيكان . . . والتي إن أثارت الغضب في جماهير الأمة الإسلامية . . . فإنها تستوجب النظر العلمي الموضوعي والهادئ والصبور في الحوار مع «أستاذ الفلسفة»، عظيم الفاتيكان .

وإذا كانت مجلة «نيوزويك» - الأمريكية - قد استنكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام . . . وجعلت عنوان غلافها - عدد ٢٦ - ٩ - ٢٠٠٦م - : «بنديكتوس السادس عشر . . . ماذا دهاه؟!» . . . ثم وصفت طريقته - في هذا التناول للإسلام - بأنها «طريقة

«خرقاء»! .. فإننا نختلف معها في هذا التوصيف .. فالأمر ليس مجرد «حماقة» .. وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداة للإسلام! ..

إنه فصل جديد- ولن يكون الأخير- في فصول العداة للإسلام، والافتراء على مقدساته ورموزه وأمته وحضارته .. يأتي بعد عام من أحداث الرسوم الدائماركية، التي أساءت إلى رسول الإسلام ﷺ .. وممن؟ .. من عظيم القاتيكان .. وليس من صحفى دائماركى نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م ..

● لقد تحدث البابا- بنديكتوس السادس عشر- فى هذه المحاضرة .. فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية- فى الإيمان الإسلامى- متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق .. الأمر الذى يجعل الإيمان الإسلامى- برأى البابا- إيماناً وثنياً أعمى!! ..

● وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام ﷺ اختار- واختيار المرء قطعة من عقله- عبارات الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] التى تفتى على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيئ ولا إنسانى .. ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

● وانطلاقاً من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام .. فادعى عقلانية المسيحية ولا عقلانية الإسلام! ..

● كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب- واتهم المسلمين بهما ..

● كما خلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة- التى عرفتها ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية ..

ورغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون من غير المسلمين، الذين عرفوا الإسلام .. بل وحتى المحايدون الذين يفترضون ضرورة الأدب والكياسة فى الحديث عن الديانات .. رغم كل ذلك، فإن الموضوعية يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات ..

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع . . بل ومطلوب . . لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تتعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؛ لأن الغضب قطعة من الجنون . . ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هي التي يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات . . وتحكم الحوار مع عظيم الفاتيكان .

● وفي البداية . . ولتبيد الاستغراب والاندھاش اللذين أصابا الكثيرين من هذا الذى صنعه الحبر الأعظم للكاتوليكية، المتربع على عرش بابوية الفاتيكان . . أقول: إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب؟! . .

فهذا الرجل - الذى تولى البابوية فى إبريل ٢٠٠٥م، قد شغل - فى الفاتيكان - لأكثر من ربع قرن - من ١٩٨١م حتى ٢٠٠٥م - منصب المسئول الأول عن «النقاء العقائدى»، أى قيادة «الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية»، التى تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين . وإلى من يعتنقون «بعض عناصر الإيمان» . . أى أنه - بالمعنى الشائع فى الشرق - كان يتولى زعامة ومسئولية «التكفيريين» فى الإطار الكاثوليكى! . . الأمر الذى يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك! . . ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ . .

- وهو من هذا المنطلق «الأصولى - التكفيرى» عدو لدود للعلمانية، التى جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروبا - فرنسا - لا يذهب فيها إلى القداس سوى ٥٪ من السكان الكاثوليك! . . أى أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين - بمقاييس هذا البابا - هم أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين! . .

● وهذا المنصب الذى تولاه لأكثر من ربع قرن - قبل توليه البابوية - منصب «المفتش الأكبر» - رئيس مجمع عقيدة الإيمان - هو - فى الكنيسة الكاثوليكية - الامتداد المعاصر «لحاكم التفتيش»، التى احترفت - فى العصور الوسطى الأوروبية - التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين . . وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢م . . والتى مارست إعدام هؤلاء المخالفين على «الخازوق المقدس» لمدة ثلاثة قرون! . . والتى بلغ ضحاياها عدة ملايين . .

● بل إن اختيار هذا الرجل - واسمه قبل البابوية «جوزيف راتزينجر» - لاسمه البابوي - بنديكتوس السادس عشر - له - كما أسلفنا - معنى وثيق الصلة بهذا التوجه «الأصولي - التكفيرى» فى الموقف من الآخرين . . فالبابا بنديكتوس الرابع عشر [١٧٤٠ - ١٧٥٨ م] - فى القرن الثامن عشر - كان عدواً للعقلانية ولمنهج الشك اللذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية . . وقبل ذلك - فى القرن السادس - كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠ - ٥٤٧ م] هو مؤسس الأديرة والرهبانية التى ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية فى أوروبا . . وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الآن فى الحضارة الغربية . .

فحتى الاسم - بنديكتوس - الذى اختاره هذا البابا - له توجهات أصولية - بالمعنى الغربى - وله دلالات . . وله تاريخ ! . . (١)

● وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام - فى محاضراته بجامعة «ريجنسبورج» فى مدينة «رايتسبون» الألمانية - فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ م - فإن هذا لم يكن - كما أسلفنا - بداية إساءته إلى الإسلام . .

- فالرجل له تاريخ فى «الخوف والتخويف» من الإسلام - ذلك الذى أصبح اتجاهاً فى الغرب يسمونه «الإسلام فوبيا Islamphobia» . . فى حوار بينه وبين السياسى الإيطالى البارز «مارسيلو بيررا» - نشر فى كتاب عنوانه : [بلا جذور : الغرب ، النسبية ، الإسلام والمسيحية] (٢) يعلن هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة :

أولها : الانقراض السكانى للأوروبيين المسيحيين - بسبب العلمنة التى أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة ، فانخفضت الخصوبة والمواليد - أحياناً إلى أقل من ١٪ - «ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت ، الشئ الذى أثر على استمرار التوازن السكانى . . وجعل عدة شعوب أوروبية ، خصوصاً الألمان والإيطاليين والإسبانيين ، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالى» أو فى - أحسن الأحوال والتكهنات - تصبح - هذه الشعوب - أقليات داخل دولها .

(١) نيوزويك - الأمريكية - عدد ٣ - ٥ - ٢٠٠٥ م .

(٢) انظر : صورة غلاف هذا الكتاب فى ملحق الوثائق ص ١٢٢ .

وثانى هذه المخاوف البابوية هو: «أن المكان الذى تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغرا يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصاً من إفريقيا والعالم العربى . . الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءاً من دار الإسلام»!! . . .

وثالث هذه المخاوف البابوية هو: «تراجع المسيحية من الفضاء الأوروبى . . فبسبب العلمانية «أصبحت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدى للمسيحية» - أى مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! - الأمر الذى أدى - برأى البابا - إلى «افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أى شىء، حتى حريتها»!!^(١)

هكذا ينظر البابا - بنديكتوس السادس عشر - إلى الإسلام، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته . . الذى سيجعل أوروبا - وهى قلب العالم المسيحى - قبل نهاية هذا القرن - «جزءاً من دار الإسلام» - كما سبق وجعل الشرق - الذى كان قلب العالم المسيحى - قلباً لعالم الإسلام!! . . .

ولقد انعكس هذا الخوف البابوى من الإسلام فى صور تعلن عداؤه لهذا الدين، وافتراءه عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته - حتى قبل هذه المحاضرة التى فجرت غضب المسلمين . . فالإسلام، الذى يبلغ القمة فى التنزيه للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه . . والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . . و «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك» .

هذا الإسلام، الذى تلخصه كلمة التوحيد، وتعبّر عن شعاره شهادة أن لا إله إلا الله . يقول عنه البابا: «إنه ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية، لا ينتمى إلى الوحي نفسه الذى تنتمى إليه اليهودية والمسيحية»!!^(٢) .

(١) انظر عرض هذا الكتاب فى الملحق الثقافى لصحيفة [الشرق الأوسط] - «منتدى الكتب» عدد ٢٦ - ٤ - ٢٠٠٦ م. وانظر صورة الغلاف فى ملحق الوثائق صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب .
(٢) هنرى تنك [لوموند] - الفرنسية - فى ١٨ - ٤ - ٢٠٠٦ م. والنقل عن: د. عمار الطالبي [البصائر] - الجزائرية - فى ١٠ - ١٧ يوليو ٢٠٠٦ م.

فالتوحيد- برأى البابا- موجود في اليهودية، التي جعلت الله خاصاً ببنى إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها! . . . وموجود في المسيحية- التي تقول بالتثليث . . . وتعبد عيسى بن مريم- باعتباره الرب- وتقول عنه: إنه «الألف والياء، والبداية والنهاية»، القادر على كل شيء . . . خالق كل شيء، وبه كان كل شيء . . . وبدونه لم يكن شيء مما كان!!»- [يوحنا: ١: ٣، ١١].

أما الإسلام، الذي يجعل الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وينزهه عن المثلث والند والشريك والشبيه والصاحبة والوالد والولد . . . فهو- بنظر البابا بنديكطوس- ليس دين توحيد! . . .

● وإذا كان الكاردينال «جوزيف راتزينجر» قد اتخذ لنفسه اسماً بابوياً ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية- بالمعنى المسيحي الغربي- فإن عداؤه هذا للإسلام . . . وإعلانه السافر لهذا العدا . . . واتخاذ هذا العدا صور الإساءة والتهم . . . هو الآخر له تاريخ . . . بل وتاريخ طويل ملئ بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين . . . - ففي تراثه الكاثوليكي، يقول أبرز قديسي وفلاسفة الكاثوليكية- في العصور الأوروبية الوسطى- «توما الأكويني» [١٢٢٥- ١٢٧٤م] عن رسول الإسلام ﷺ:

«لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية . . . وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأنجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسائله إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية!»^(١).

- وفي التراث الفني والأدبي الكاثوليكي الأوروبي- تراث بابا الفاتيكان- وضع «دانتي» [١٢٩٥- ١٣٢١م]- صاحب «الكوميديا الإلهية»- رسول الإسلام ﷺ وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه «في الحفرة التاسعة، في ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهم- بنظر دانتي- من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم في سعيهم الكوميديا الإلهية!»^(٢).

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر [صورة الإسلام في التراث الغربي] ص ٣٢، ٣٣. ترجمة: ثابت عيد- طبعة القاهرة- نهضة مصر ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٤.

- وفي تراث البابا - الذى يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد - تزعم «ملحمة رولاند»
- الشعبية - التى نظمت حوالى ١٣٠٠م - أن المسلمين يعبدون ثالوث :

١ - أبولين - Apollin

٢ - وتيرفاجانت - Tervagant

٣ - ومحمد - Mohamed^(١)

● وبشهادات علماء الغرب ، الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة
والكريهة والشوهاء التى صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام . . فإن الخيال الغربى
المسيحى المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام - ليشحن العامة
والغوغاء فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من
التحرير الإسلامى . . .

يشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» [١٩١٥ - ٢٠٠٤م]
فيقول :

«لقد حدث أن الكتاب اللاتين ، الذين أخذوا بين ١٠٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم
إشباع حاجة الإنسان العامى ، يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد ، دون أى اعتبار
للدقة ، فأطلقوا العنان «لجهد الخيال المنتصر» - كما جاء فى كلمات «ر . وساوثرن» -
فكان محمد (فى عرفهم) : ساحراً ، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر
والخدعية ، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية . . وكان محمد (فى عرف تلك
الملاحم) - هو صنمهم الرئيسى ، وكان معظم الشعراء الجواله يعتبرونه كبير آلهة
السراسنة - [البدو] - وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية ، وذات
أحجام هائلة!»^(٢) .

وبشهادة المستشرق الإيطالى «فرانشسكو جابريلى» :

(١) المرجع السابق : ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) مكسيم رودنسون [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] -
ياشراف «شاخت» و «بوزورت» القسم الأول ص ٢٧ ، ٢٨ . ترجمة : د . محمد زهير السمهورى .
مراجعة : د . شاكر مصطفى . طبعة الكويت ١٩٧٨م . وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] طبعة
القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ٦٤ .

«فلقد كانت العصور الوسطى الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقاً شيطانياً في صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقاً مشتموماً قام به شعب بربرى!»^(١).

وبشهادة المفكر الألماني «هربرت هيركومر» - في دراسته عن [صور الإسلام في الأدب الوسيط] -:

«فإن الأوروبيين ادّعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية - في القرون الوسطى - محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»^(٢).

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتوراة «سيجريد هونكة»:

«فلقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذي يصممهم جهلاً وعدواناً بأنهم «رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة . . وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى، والسحرة، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن، واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالتي من زبائنته من الشياطين . . وقد تربع على عرشهم الذهبي «ما هو مد» . مخميد» - وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قرباناً وزلفى إليه!»

«فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله؛ لأنهم لم يعبدوه بعد . . فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة . . وسفلة أوغاد . . أعداء الله . . وأعداء المسيح . . مستبحو قبر المسيح» . . !

«وحسب وصف «جى . توينبى» [١٨٨٩ - ١٩٧٥م]: «فهم غير متحضرين . . وخلق غريب مستبعد من العالم الهليني، أو المتطفلين على الحضارة الهلينية الإغريقية . . أولئك المحمدون البدائيون . . وأقصى القول فيهم: إنهم تقليد بربرى جاهل زائف لديانة السريان الغربية عنهم، وهم - لبدائيتهم وقصورهم - لا يسعون إلى اعتناق النصرانية»^(٣).

(١) [الإسلام في عالم البحر المتوسط] - المصدر السابق - ص ١٠٤، ١٠٥ .

(٢) [صورة الإسلام في التراث الغربى] ص ٢٣، ٢٤ .

(٣) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٨، ١١، ٤، ١٩، ٢٣ . ترجمة: د. غريب محمد غريب . طبعة القاهرة ١٩٩٥م .

«ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحراً كبيراً . . وصورته «قرطبة»
- في الأندلس - وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا للمحمد الصنم
الذهبي الذي كانت تحرسه عصابة من الشياطين، تضحية بشرية!! «فبلاد الإسلام هي
عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان . . بلاد
الأضاحى البشرية من أجل صنم ذهبي، تسهر على سلامته عصابة من الشياطين، اسمه
محمد!!»^(١).

«ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» ١٣٠٠م - في ريجنزبورج - «ملحمة
رولاند» . . التي وصف فيها المسلمين بأنهم «الشعب الذي لا يروى تعطشه لسفك
الدماء، والذي لعنه رب السماء . . فهم كفرة وكلاب . . وخنازير فجرة . . وهم عبدة
الأصنام التي لا حول لها ولا قوة . . الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رمهم في
الخلأ، فهم إلى جهنم بلا مراء»!

«وفي هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس «كونراد» الشعب المسلم، فيقول: «إن
مخمت - [محمد] - قد أرسلني إليك لأطبخ رأسك عن كتفيك وأطرح للجوارح
جثتك، وأمتشق برمحي هامتك. ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمدته
الكنيسة «ليس له إلا الموت شتقاً، أو ضرباً، أو حرقاً». إن أولئك جميعاً دون استثناء
حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم
روحاً وجسداً، وكتب عليهم الخلود في جهنم أبداً!!»^(٢).

أما البابا الذهبي «أوربان الثاني» [١٠٨٨ - ١٠٩٩م] - الذي أشعل نيران الحروب
الصليبية ضد الإسلام والمسلمين - فهو الذي خطب في فرسان الإقطاع الأوروبيين
يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال: «أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن
هذا الجنس من الكفار، الذي لا يليق به إلا كل احتقار، والذي سقط في هاوية التعرى
عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبداً للشيطان، قد قُدر له الانتصار على شعب الله
المختار!!»^(٣).

(١) سيجريد هونكة [العقيدة والمعرفة] ص ١٦١، ١٦٢، ٩٩. ترجمة: عمر لطفى العالم. طبعة دمشق
١٩٨٧م.

(٢) [الله ليس كذلك] ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٣.

نعم . . هذه هي صورة الإسلام . . ورسوله ﷺ . . وصورة المسلمين في تراث أوروبا الكاثوليكية . . والتي نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التي تحدث بلسانها كبيرها «مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال: «إنه كتاب بغيض وفضيح وملعون، وملىء بالأكاذيب والخرافات والفظائع! . . وإن إزعاج محمد، والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه . . وإن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضاً ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم في هذه الحروب»!! . .

أما صورة رسول الله ﷺ الرحمة المهداة . . والنور والبشير للعالمين . . فإنها - عند رأس البروتستانتية - وبألفاظه - صورة «خادم العاهرات وصائد المومسات»!!^(١).

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ «الخيال المظلم والمريض» بالكنيسة الأوروبية - بابواتها . . وقساوستها . . وشعرائها . . وعوامها - هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب في الافتراء على الإسلام والمسلمين . . فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء، لا يزال باقياً . . وفاعلاً . . دون نقد أو مراجعة . . بل يراه فاعلاً وموجهاً لبابا القاتيكان - أستاذ الفلسفة - بنديكتوس السادس عشر - في القرن الواحد والعشرين!! . .

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا البابا - ذى التوجهات المحافظة والأصولية - بالمعنى الغربى - وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداة للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التي يتربع على عرشها هذا البابا . .

فهذه الكنيسة هي التي هيجت أوروبا، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام - الحروب الصليبية - التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م] . .

(١) [صورة الإسلام في التراث الغربى] ص ٢١ .

• وهى التى زكّت وصممت صمت الرضا - بل وشاركت بالتنصير - فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامى على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات! ..

• وهى التى أرسلت «كريستوفر كولمبس» [١٤٥١ - ١٥٠٦م] ليجمع الذهب - بعد إبادة سكان الأمريكتين - لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين!! .. ويومها كتب «كولمبس» إلى البابا «إسكندر السادس» [١٤٩٢ - ١٥٠٣م] فقال:

«لقد اضطلعت بهذه المهمة - [الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا] - لننفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة. وبعد أن ذهبت إلى هناك، ورأيت الأرض كتبت إلى الملك «فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] والملكة «إيزابيلا» [١٤٧٤ - ١٥٠٤م]: إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفاً من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة»!!^(١).

• وهى التى أرسلت «فاسكو دى جاما» [١٤٦٩ - ١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامى .. تمهيداً لضرب قلب العالم الإسلامى ١٤٩٧م ..

• وهى التى أرسلت «ماجلان» [١٤٨٠ - ١٥٢١م] ليحارب المسلمين فى الفيليبين ١٥٢١م .. ولتنصير الفيليبين - التى كانت مسلمة .. واسم عاصمتها «أمان الله»! ..

• وهى التى أعلن مطرانها فى باريس - بحضرة الملك الفرنسى «شارل العاشر» [١٨٢٤ - ١٨٣٠م] عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م: «إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك»!!^(٢) ..

كما أعلن كرادلتها وقساوستها - وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر:

«إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى

(١) انظر كتابنا [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] ص ٢١-٢٥. طبعة القاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) رفاة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] ج ٢ ص ٢١٩. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٣م.

الأبد . . وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل!! . . وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار!!^(١) .

● وهى التى عهد جنرالها «كليب» [١٧٥٣ - ١٨٠٠ م] - إبان الحملة الفرنسية على مصر - إلى المعلم «يعقوب حنا» [١٧٤٥ - ١٨٠١ م]: «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء . . حتى تطاولت النصارى على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم . . وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»!!^(٢) .

● وهى المؤسسة الكنسية التى يقود كرادلتها - فى واقعنا المعاصر - وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر - حرب التخويف من الإسلام . . فيقول الكاردينال «بول بوبار» - مساعد بابا القاتيكان يوحنا بولص الثانى . . ومسئول المجلس القاتيكانى للثقافة :

«إن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة . . إن الإسلام يمثل تحدياً لأوروبا وللغرب عموماً . . وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيراً ضليعاً لكى يلاحظ تفاوتاً متزايداً بين معدلات النمو السكانى فى أنحاء معينة من العالم، وفى البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكانى بشكل تدريجى، بينما يحدث العكس فى البلدان الإسلامية .

وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما»^(٣) .

أما الكاردينال «المونسنيور جوزيبى برناردينى» فإنه يقول - فى حضرة البابا يوحنا بولص الثانى - :

«إن العالم الإسلامى سبق أن بدأ يسيط سيطرته بفضل دولارات النفط . . وهو يبنى المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما

(١) انظر كتابنا: [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] ص ٣٥، ٣٦ . طبعة القاهرة ٢٠٠٦ م .

(٢) الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] ج ٥ ص ١٣٦ . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م .

(٣) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ١ - ١٠ - ١٩٩٩ م - وهى تنقل عن [الفيجارو] - الفرنسية .

فى ذلك روما عاصمة المسيحية . فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجاً للتوسع ،
وفتحاً جديداً؟! (١) .

إذن . . فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد ، يمثل تيار «الأصولية الكاثوليكية»
أو تراث محاكم التفتيش . . ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين . . وإنما -
مع ذلك ، وفوق ذلك - أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية ، هى كبرى مؤسسات المسيحية
الغربية . . تحمل العداء ذاته للإسلام . . وتروج للتخويف منه ، باعتباره يفتح أوروبا
فتحاً إسلامياً جديداً!! . . ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من «دار الإسلام» فى هذا
القرن الذى نعيش فيه! . .

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر - التى مثلت أحدث فصول
الإساءات للإسلام - ولن تكون آخر هذه الفصول - فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط :

١ - الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين . . وذلك فى معرض حديثه عن علاقة
الإيمان بالعقل . . إذ ادعى أن الإيمان المسيحى عقلانى . . بينما المشيئة الإلهية لإله
المسلمين متسامية لا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق!! الأمر الذى يجعل الإيمان
الإسلامى بإله المسلمين إيماناً «وثنياً أعمى»!!

٢ - والافتراء على رسول الإسلام محمد ﷺ وذلك عندما استشهد بعبارة
الإمبراطور البيزنطى «مانويل الثانى» [١٣٩١ - ١٤٢٥م] التى زعم فيها أن محمداً لم
يأت إلا بما هو سبىء وشريير ولا إنسانى ، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!

٣ - وخلطه بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب المقدسة - التى عرفتها ومارستها
النصرانية الغربية لعدة قرون - . . ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامى والإيمان به إنما
يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين!

٤ - والافتراء على القرآن الكريم ، ووصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام التى
أثبتت فى القرآن»!! . .

(١) صحيفة [الشرق الأوسط] فى ٣٠ - ١٠ - ١٩٩٩م .

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات فى الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات^(١) . . فإننا - مراعاة للمقام . . وعدم التكرار - سنقدم هنا نقاطاً موجزة تدحض هذه الافتراءات . .

* * *

(١) انظر كتبنا: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والآخر] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و [الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٢م. و [شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و [الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة ٢٠٠٤م. و [الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م. و [السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة ٢٠٠٦م. و [حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥م. و [أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة ٢٠٠٠م. و [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة ٢٠٠١م. و [فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة ٢٠٠٣م.

الافتراء على رب العالمين

ففيما يتعلق بمقام العقل في الإيمان الإسلامي، وفي الفكر الإسلامي . . فلقد تجاهل عظيم الشاكر الذي درس الفلسفة ودرّسها - أن الله - سبحانه وتعالى - في الإيمان الإسلامي من أسمائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ . . وأنه هو ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ و ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ . . وأنه هو الذي [أنزل الكتاب والحكمة] . . وأنه - سبحانه وتعالى - إنما بعث رسوله محمداً ﷺ ليعلم الناس ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ . . وحتى نساء النبي ﷺ أشار القرآن الكريم إلى ما يتلى في بيوتهن ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ . . وأن ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ . . ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] - ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] - ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩] - ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢٤] - ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] - ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١] - ﴿وَأذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] - ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

ولقد ورد في القرآن الكريم وصف الذات الإلهية بالحكيم في مائة آية من آيات هذا القرآن . . كما وردت فيه الآيات التي تتحدث عن العقل والتعقل في ٤٩ آية . .

وعن القلب، كأداة للتعقل، في ١٣٢ آية . .

وعن الفقه، بمعنى الوعى العقلى، في ٢٠ آية . .

وعن الحكمة في ١٩ آية . .

وعن التفكير في ١٨ آية . .

وعن اللب، بمعنى العقل والجوهر الإنساني، في ١٦ آية . .

وعن الاعتبار، بمعنى التعقل، في ٧ آيات . .

وعن التدبر في ٤ آيات . .

وعن النهى، بمعنى العقل، في آيتين . .

أى أن القرآن الكريم - الذى هو معجزة عقلية، تستنفر العقل للتعقل، ولا تدهشه، كالمعجزات المادية، فتشله عن العمل - قد جاء فيه الحديث عن العقل والحكمة فيما يقرب من ثلثمائة آية . . وذلك فضلاً عن مائة آية ورد فيها - بالنص - وصف «الحكيم» كواحد من أسماء الله الحسنى .

بل لقد جعل القرآن الكريم تنكب العقلانية والتعقل السبيل إلى جهنم - والعياذ بالله - ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ [الملك: ١٠، ١١] .

• ثم . . ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام ﷺ قد قال: «العقل أصل ديني» . .

وقال: «عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهداً» - رواه الدارمى . .

• وألم يقرأ لابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م] - الذى أخرجت عقلانيته الإسلامية أوروبا من خرافات اللاهوت الكنسى - كيف جعل «دليل العناية والرعاية» - وهو قمة الحكمة والعقلانية - دليلاً على وجود الله - سبحانه وتعالى - ؟ . . وكيف أعلن أن «الحكمة» هى الأخت الرضية «لشريعة الإسلام»؟

● وألم يسمع - عظيم الفاتيكان - عن المعتزلة والتيار العقلانى فى الفكر الإسلامى والفلسفة الإسلامية، الذين تجاوزوا ما اتفق عليه غيرهم من المسلمين من أن الله - سبحانه وتعالى - لا يجوز عليه ولا يليق به - لفرط الحكمة المطلقة فى مشيئته وفعله - إلا فعل الصلاح والأصلح . . تجاوز المعتزلة ذلك، فأوجبوه على الله!! . .

ولقد استندوا فى ذلك إلى فهمهم للقرآن الكريم، الذى جاء فيه أن الله - سبحانه وتعالى - قد ﴿ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

● وألم يقرأ - عظيم الفاتيكان - ما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م] - وهو أستاذ للعديد من الفلاسفة والقديسين المسيحيين - عن العلاقة العضوية بين العقلانية وبين الشرع والقرآن فى الإسلام . . وكيف شبه العقل بنور البصر، والشرع بنور الشمس وضياؤها . . ومن ثم حكم بأنه لا قيمة لأى منهما إذا انقطع عن الآخر . . وقال :

«إنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول . . فمثال العقل : البصر السليم من الآفات والأداء، ومثال القرآن : الشمس المنتشرة الضياء . . والمستغنى بأحدهما عن الآخر إنما يكون فى غمار الأغبياء . فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله : المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان ! فالعقل مع الشرع نور على نور^(١) . . وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر البحث والنظر؟

أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ وبرهان العقل هو الذى عرف به صدقه فيما أخبر؟ . .

إن العقل أولى باسم النور من العين، بل بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه إنه أولى، بل الحق أنه يستحق الاسم دونها^(٢) . . وعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة، وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، فىكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الإبصار،

(١) حجة الإسلام الغزالى [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص ٢، ٣ . طبعة مكتبة صبيح - القاهرة . بدون تاريخ .

(٢) الغزالى [مشكاة الأنوار] ص ٣٦ . طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .

فبالخرى أن يسمى القرآن نوراً، كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن: نور الشمس، ومثال العقل: نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].. وما قضى العقل باستحالاته، فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول^(١).. والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل^(٢).. فلهذا كان رأسمال كل السعادات العقل^(٣)..

وقول الغزالي - كذلك - في شرح الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] «فكان من أعظم ما شرفه به الله وكرمه: العقل، الذي تنبه به على البهيمة، وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته، والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة»^(٤).

● وألم يعلم - عظيم الثاتيكان - أن الإسلام قد جعل «الشك المنهجي» علماً.. وأوجب تعلمه.. لأنه هو الطريق إلى اليقين.. حتى قال الجاحظ [١٦٣ - ٢٥٥هـ/ ٧٨٠ - ٨٦٩م]:

«فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له. وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف، ثم التثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه.. فلم يكن يقين قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك. فلا تذهب إلى ما تريك العين، واذهب إلى ما يريك العقل، وللأمور حكمان: ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحججة»^(٥).

● وقول الماوردى [٣٦٤ - ٤٥٠هـ / ٩٧٤ - ١٠٥٨م]:

(١) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ٢، ٣، ١٢٢.

(٢) الغزالي [المضنون به على غير أهل] ص ٣١٨. طبعة القاهرة - ضمن مجموعة [القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي] - مكتبة الجندی - بدون تاريخ.

(٣) الغزالي [رسالة الغزالي إلى ملكشاه] ص ٦٩ - طبعة القاهرة ١٩٠٧م.

(٤) الغزالي [أسرار المخلوقات] ص ٧٧. طبعة تونس ١٩٩٠م.

(٥) الجاحظ [الحيوان] ج ١، ص ٣٥ - ٣٧، ج ١، ص ٢٠٢. تحقيق: عبد السلام هارون. طبعة القاهرة - الثانية.

«إن السبب المؤدى إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيان: أحدهما: علم الحس، وهو العقل؛ لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول. وثانيهما: معرفة لسان العرب - وهو معتبر - فى حجج السمع خاصة...»^(١).

● وقول القرافى - أحمد بن إدريس - [٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م]:

«... والقاعدة المعلومة: أن الشرع لا يرد بخلاف العقل، بل جميع واردات الشرائع يجب انحصارها فيما يجوزه العقل وجوداً وعدمًا، فيرد الشرع بترجيح أحد طرفيه، وجوده أو عدمه، أو يسوى بينهما، وهو الإباحة»^(٢).

● وقول القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى [٤١٥ هـ ١٠٢٤ م]:

«إن الأدلة، أولها: دلالة العقل؛ لأن به يميز بين الحسن والقيبح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع. ولربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هى: الكتاب، والسنة، والإجماع، فقط. أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر. وليس كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة، والإجماع، فهو أصل فى هذا الباب. وإن كنا نقول: إن الكتاب هو الأصل، من حيث إن فيه التنبيه على ما فى العقول، كما أن فيه الأدلة على الأحكام. وبالعقل يميز بين أحكام الأفعال وبين أحكام الفاعلين، ولولاه لما عرفنا من يؤخذ بما يتركه أو بما يأتیه، ومن يحمده ومن يُذم؛ ولذلك تزول المؤاخذه عن لا عقل له. ومتى عرفنا بالعقل، إلهًا منفردًا بالإلهية، وعرفناه حكيمًا، نعلم فى كتابه أنه دلالة، ومتى عرفناه مرسلًا للرسول، ومميزًا له بالأعلام المعجزة، من الكاذبين، علمنا أن قول الرسول حجة. وإذا قال ﷺ: «لا تجتمع أمتى على خطأ...» وعليكم بالجماعة... علمنا أن الإجماع حجة»^(٣).

● وإذا كان بابا الثائتيكان قد جعل موضوع محاضرته عن علاقة الإيمان بالعقل...

(١) الماوردى [أدب القاضى] ج١ . ص ٢٧٤، ٢٧٥ . طبعة بغداد ١٩٧١م.

(٢) القرافى [كتاب الأمانة فى إدراك النية] ص ٥٢٣ .

(٣) القاضى عبد الجبار [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] ص ١٢٧ . تحقيق: فؤاد سيد . طبعة تونس

١٩٧٢م.

فكيف جهل أن فلاسفة الإسلام - ومنهم أبو علي الجبائي [٢٣٥ - ٣٠٤ هـ / ٨٤٩ - ٩١٦ م] - قد قالوا: «إن الواجب الأول على الإنسان هو النظر».

بل وقال الفيلسوف أبو هاشم الجبائي [٢٤٧ - ٣٢١ هـ / ٨٦١ - ٩٣٣ م]: «إن الواجب الأول على الإنسان هو الشك»!^(١) . . وذلك انطلاقاً من التأصيل القرآني لمنهاج «الشك المنهجي»: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمِ تُوْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظُنُّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] . .

● وحتى شيخ الإسلام، وإمام السلفية ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] الذى جعل عنوان كتابه [درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول] . . رأيناه يعلن: أن «الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقييحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين»^(٢) أى أن أغلب تيارات الفكر الإسلامى - الفلسفية والفقهية - تجعل العقل مرجعية للتحسين والتقييح . .

● وإذا كان عظيم الثايتيكان - وأستاذ الفلسفة - قد جهل هذا التراث الفلسفى الإسلامى القديم . . فكيف جهل تراث الإسلام الفلسفى الحديث - فى العقلانية الإسلامية - والذى قال فيه جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م]:

«إن الدين الإسلامى يكاد يكون متفرداً بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيه الخاطبين فى عشواء العمائة، والقدح فى سيرتهم .

هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم، وكلما خاطب خاطب العقل، وكلما حاكم حاكم إلى العقل، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة . . وكلما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية . وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة .

(١) د. على فهمى خشيم [الجبائيان أبو علي وأبو هاشم] ص ٣٣٣ . طبعة طرابلس - ليبيا ١٩٦٨ م .

(٢) ابن تيمية [الفتاوى] ج ٨ . ص ٤٢٨ ، ٤٣٣ . طبعة الرياض ١٣٨١ م .

إن العقل مشرق الإيمان، فمن تحول عنه فقد دابر الإيمان.

وإن فرقا بين ما لا يصل العقل إلى كنهه، فيعرفه بأثره، وبين ما يحكم العقل باستحالته، فالأول معروف عند العقل، يقر بوجوده، ويقف دون سرادقات عزته، أما الثاني فمطروح من نظره، ساقط من اعتباره، لا يتعلق به عقد من عقوده، فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه؟!

لقد بدأ الإنسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات . . . لكن نقطة الافتراق كانت قوته العاقلة . . . والله قد جعل قوة العقل للإنسان محور صلاحه وفلاحه . . . والحكمة، وأنتها العقل، هي مقننة القوانين، وموضحة السبل، وواضعة جميع النظمات، ومعينة جميع الحدود، وشارحة حدود الفضائل والردائل، وبالجملة، فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية . . . فهي أشرف الصناعات . . .

إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون، وسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من أسرار الطبيعة، وسوف يصل بالعلم وإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصوراته، فيرى ما كان من التصورات مستحيلاً قد صار ممكناً، وما صورته جموده بأنه خيال قد أصبح حقيقة . . . (١)

إن أول ركن بنى عليه الدين الإسلامى: صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الأمر، بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية، وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله، فيسهل عليه قبول كل وهم، وتصديق كل ظن، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال، ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق، وفوق ذلك ما تجلبه الأوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة، والخوف مما لا يخيف، والفرع مما لا يفرع . . .

إن دين الإسلام قد فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس . . . وقرر المزايا على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لا غير، فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . . . وعقائد

(١) جمال الدين الأفغانى [الأعمال الكاملة] ص ١٧٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥ . دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٦٨ م.

الأمة - وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها - يجب أن تكون مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة، وأن تتحامى مطالعة الظنون في عقائدها، وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها، فإن معتقداً لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقناً، فلا يكون مؤمناً . . وأولئك المتبعون للظن، القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عندما تعودت إدراكه، فلا يذهبون مذاهب الفكر، ولا يسلكون طرائق النظر، وإذا استمر بهم ذلك تغشتهم الغباوة بالتدريج، ثم تكافت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة، فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر، فيحيط بهم الشقاء، ويتعثر بهم البخت، وبئس المآل مآلهم .

هذا هو الإسلام . . (١)

• ألم يقرأ عظيم الفاتيكان - وأستاذ الفلسفة - شيئاً من هذا الذي كتبه فيلسوف الشرق جمال الدين الأفغانى . . عن تفرد الإسلام - دون غيره من الأديان - بالعقلانية . . وشهادة خصومه له بهذا التفرد؟! . .

وهل يجوز لمثله - ممن يتصدى للحديث عن موقف الإيمان الإسلامى من العقل والعقلانية - أن يجهل هذه «المقالات» الشهيرة - حتى فى اللغات الغربية - عن العقلانية الإسلامية؟! . .

ثم . . ألم يسمع بابا الفاتيكان عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٨ - ١٩٠٥م] - وهو الذى وضعت حول فكره وإبداعاته العديد من الرسائل الجامعية التى كتبها لاهوتيون غربيون . . والذى راسل وحاوّر العديد من فلاسفة الغرب ومفكره . . من «تولستوى» [١٨٢٨ - ١٩١٠م] إلى سينسر [١٨٢٠ - ١٩٠٣م] إلى هانوتو [١٨٥٣ - ١٩٤٤م] . . وغيرهم . . وهو الذى صاغ فى العقلانية الإسلامية المتفردة مقالاً نفيساً، قارن فيه بين عقلانية الإسلام ولا عقلانية عقيدة بابا الفاتيكان!! . .

ألم يسمع البابا بنديكتوس السادس عشر بما كتبه محمد عبده عن :

«أن الإنسان : كون عقلى ، سلطان وجوده العقل ، فإن صلح السلطان ونفذ حكمه ،

(١) الأفغانى [الأثار الكاملة] ج١ . ص ٤٢، ٤٣ . جمع وإعداد: هادى خسرو شامى . تقديم: د. محمد عمارة طبعة القاهرة ٢٠٠٢م .

صلح ذلك الكون وتم أمره . . والعقل من أجل القوى، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها، والكون صحيفته التي ينظر فيها، وكتابه الذي يتلوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه . .

والعقل هو جوهر إنسانية الإنسان، وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة . .

ولقد تأخى العقل والدين - [فى الإسلام] - لأول مرة فى كتاب مقدس، على لسان نبي مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة - إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - : أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، كالتصديق بالرسالة نفسها . .

كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل . .

وأول أساس وضع عليه الإسلام : هو النظر العقلى، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة : إن الذى يستقصى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالباً غير واقف عند الظن، فهو ناج . فأى سعة لا ينظر إليها الحرج أكمل من هذه السعة؟

ولقد اتفق أهل الملة الإسلامية - إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه - على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي فى النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله فى علمه . والطريق الثانية : تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل .

وإنه لا يقين مع التحرج من النظر، وإنما يكون اليقين بإطلاق النظر فى الأكوان، طولها وعرضها، حتى يصل إلى الغاية التى يطلبها بدون تقييد .

فالله يخاطب - فى كتابه - الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد . والوقوف عند

حد فهم العبارة مضر بنا، ومناف لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات . . . والقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحاءها، ونشر ما انطوى فى أثنائها . . . فالإسلام لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية . . .

والمرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربيّ على التسليم بغير عقل، والعمل - ولو صالحاً - بغير فقه فهو غير مؤمن؛ لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينه، فيعمل الخير؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله، ويترك الشر؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينه وديناه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل فى اعتقاده . . . فالعاقل لا يقلد عاقلاً مثله، فأجدر به أن لا يقلد جاهلاً هو دونه!

وإن القول بنفى الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين ورد فى كتابه أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك، فيتحول الجبل! . . . يليق بأهل دين تعد الصلاة وحدها - إذا أخلص المصلى فيها - كافية فى إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى! . . . وليس هذا الدين هو دين الإسلام!

دين الإسلام هو الذى جاء فى كتابه: ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٥] - ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠] - ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٦٢) [الأحزاب: ٦٢] . وأمثالها .

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية إلا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله! .

إن الله فى الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل . . . وهى التى تسمى شرائع أو نواميس، أو قوانين . . . ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا

يتبدل . وعلى من يطلب السعادة فى المجتمع أن ينظر فى أصول هذا النظام حتى يرد إليه أعماله ، ويبنى عليها سيرته ، وما يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر إلا الشقاء ، وإن ارتفع فى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سببه . فمهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر أتى لنا بأحكام تلك السنن ، فهو يجرى مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ، ولا تنفر منه . ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

إن إرشاد الله إيانا إلى أن له فى خلقه سننا ، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة ، لتقديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه ، فيجب على الأمة - فى مجموعها - أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله فى خلقه ، كما فعلوا فى غير هذا العلم من العلوم والفنون التى أرشد إليها القرآن بالإجمال ، وبينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده ، كالتوحيد والأصول والفقه .

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها ، والقرآن يحيل عليه فى مواضع كثيرة ، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم ؛ إذ أمرنا أن نسير فى الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها . .

وبهذا الأصل ، الذى قام عليه الكتاب وصحيح السنة وعمل النبى ﷺ مهدت بين يدى العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال إلى غير حد . . .

وبعد هذا «المقال فى العقلانية الإسلامية» ، التى تفرد بها الإسلام دون سائر الديانات . . ينبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده على تميز هذه العقلانية الإسلامية بأنها «عقلانية مؤمنة» تميزت بالوسطية الإسلامية الجامعة بين «العقل» و «الوحي» - بين «السنن الكونية : كتاب الله المنظور» وبين «آيات الوحي والشرع : كتاب الله المسطور» . . فهى بريئة من «اللاهوت الخرافى» براءتها من «الغرور العقلانى» . . بريئة من العقلانية المجردة من النقل - كما كان الحال فى الحقبة الإغريقية - وبريئة من العقلانية المادية الوضعية التى جاءت - فى النهضة الأوروبية - ثورة على اللاهوت اللاعقلانى . . ولذلك ، ضبط الإمام محمد عبده هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة . . عندما قال :

« . . فالعقل البشرى وحده ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعاده فى هذه الحياه، اللهم إلا فى قليل ممن لم يعرفهم الزمن، فإن كان لهم من الشأن العظيم ما به عرفهم أشار إليهم الدهر بأصابع الأجيال :

وقد يكون من الأعمال ما لا يمكن درك حسنه، ومن المنهيات ما لا يعرف وجه قبحه، وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح إلا النهى! . . .

إن مجرد البيان العقلى لا يدفع نزاعاً، ولا يرد طمأنينه، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل يزعم أنه أرفع من واضعها، فيذهب بالناس مذهب شهواته، فتذهب حرمتها، وينهدم بناؤها، ويفقد ما قصد بوضعها . . .

وإذا قدرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهى إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى . . أما الوصول إلى كنه حقيقة فمما لا تبلغه قوته . . .

ومن أحوال الحياه الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده . . لهذا كان العقل محتاجاً إلى معين يستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة . . .

فالعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتصديق بالرسالة . . أما النقل، فهو ينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والعبادات . . .

والذى علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه . . .^(١)

● وعلى هذا الدرب . . درب العقلانية الإسلامية، المتميزة بإعلاء مقام العقل، مع الوسطية التى تجمع بين العقل لعالم الشهادة، والإيمان بالنقل المصور لعالم الغيب . . أى العقلانية الجامعة بين العلم والغيب . . على هذا الدرب يسير الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٤٩ م] عندما يقول :

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٣ ص ١٦٥، ٢٧٧. و ج٥ ص ٤٢٨. و ج٣ ص ٢٩٨، ٢٨٢، ١٥١، ٢٧٩ - ٢٨١. و ج٤ ص ٤١٤. و ج٣ ص ٥٠٢، ٢٨٤. و ج٥ ص ٩٤، ٩٥. و ج٣ ص ٢٨٢، ٣٩٩، ٤١١، ٣٧٩، ٣٩٧، ٣٢٥، ٣٦٥. ولزيد من نصوص الإمام محمد عبده فى العقلانية، انظر كتابنا [الإصلاح بالإسلام] ص ٨٣ - ١١٦، ١٢٣ - ١٤٢، ١٥١ - ١٦٣ طبعه القاهرة ٢٠٠٦ م. وكتابنا [مقام العقل فى الإسلام].

«إن الإسلام لم يحجر على الأفكار، ولم يحبس العقول.. بل جاء يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء..» والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

«وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى، فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظنى منها ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار..»

ولقد تذبذب تاريخ العقل البشرى بين:

١- طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب.

٢- وطور الجمود والمادية والتكر لهذا الغيب المجهول.

وكلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، فلقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقاً.. فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل..

إن المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله.. فى الوقت الذى يجب على الناس فيه أن يطلقوا العقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات.. فإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين: الغيبية والعلمية ندعو الناس^(١).

هكذا تبلورت فى الإسلام- الدين.. والحضارة.. والتاريخ- عقلانية مؤمنة متميزة عن غيرها من العقلانيات التى عرفتها شرائع أخرى.. وحضارات أخرى..

- فالإنسان كون عقلى.. سلطان وجوده العقل..

- والعقل هو جوهر الإنسان.. ومن أجل القوى الإنسانية.. بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها..

(١) حسن البنا [الرسائل] ص ٢٩٤، ٢٧٠، ٢٧١، ١١٠-١١٢ طبعة القاهرة- دار الشهاب- بدون تاريخ.

- ولقد تأخى العقل والدين في القرآن لأول مرة في تاريخ الشرائع السماوية . .
- والله - في القرآن - لا يخاطب إلا الفكر والعقل والعلم، بدون قيد ولا حد . .
- والقرآن معجزة عقلية، عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها . .
- والمسلم لا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . .
- والعقل هو مشرق الإيمان الدينى . .
- والسعادة الإنسانية هي من نتائج العقل والبصيرة . .
- وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام . .
- والسببية . . والسنن والقوانين هي الحاكمة للكون والاجتماع . .
- وأول واجب على الإنسان هو النظر . . والشك المنهجي هو الطريق إلى اليقين . .
- والعقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله . . والتصديق بالرسالة . . أما النقل فهو
- الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب . . فالعقل من أشد أعوان الإسلام . . والنقل من
- أقوى أركان الإسلام . .

● ثم . . من أين جاء عظيم الفاتيكان - أستاذ الفلسفة - بهذه «البدعة» التى زعم فيها أن مسيحيتها متفوقة فى العقلانية على الإسلام؟! . .

ألم يقرأ مقارنة الإمام محمد عبده بين الدينين فى هذا المقام؟ . . وكيف أن «أحد أصول النصرانية - الذى لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا پروتستانت - هو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما لا يقبله العقل، بمعنى ما يناقض أحكام العقل ومنطقه، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به . . ولقد قال القديس «أنسيلم» [١٠٣٣ - ١١٠٩م]: «يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر . . فليس الإيمان فى حاجة إلى نظر العقل، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل فيه نظره»!! . . بينما أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى، والنظر العقلى هو أساس الإيمان الصحيح . .»^(١)

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج٣ ص ٢٦٢، ٢٨٢ .

فأين هي العقلانية المسيحية - وهذا كلام القديس «أنسيلم»؟! . . فضلاً عن أن تكون عقلانيتها متفوقة على العقلانية الإسلامية - التي قدمنا الشواهد من مقالاتها؟! . .

لقد قرر الإسلام - وقرر فلاسفته ومفكروه - أن العقل هو الطريق إلى معرفة الله - سبحانه وتعالى - لأن العقل يتفكر ويتدبر ويتعقل في الخلق، فيدرك أنه لا بد من خالق متصف بكل صفات الجلال والكمال . . ولذلك، كانت أول فريضة على الإنسان - إسلامياً - هي فريضة النظر! حتى قبل الإيمان بالكتب والنبوت والرسالات!! ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس : ١٠١] - ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت : ٢٠]

● وإذا جاز لبابا القاتيكان أن يجهل هذا التراث الإسلامي - القديم والحديث - في العقلانية الإسلامية - المتميزة . . والمتفوقة . . والمتفردة . . وهذا غير جائز - فكيف له أن يجهل - وهو أستاذ للفلسفة - ما كتبه المستشرق الإنجليزي «ألفريد جيوم» عن تفرد الفلسفة الإسلامية بتأسيسها على الدين الإسلامي . . وذلك عندما قال :

«إن قوة الحركة الاعتزالية - التي أسست علم الكلام الإسلامي . . والفلسفة الإسلامية قبل عصر الترجمة عن الإغريق» - مردها جهود أولئك الذين حاولوا أقصى ما في طوقهم إقامة علم الكلام الإسلامي على أسس ثابتة من الفلسفة، مصرين في الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التي يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية . .»^(١)

● ثم . . أين هي العقلانية - يا عظيم القاتيكان - في الدين الذي ينتهك قوانين السببية، ويقرر - في كتابه - أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك، فيتحول الجبل! وأن الصلاة وحدها كافية في إقدار المصلى على تغيير سير الكواكب، وقلب نظام العالم وتركيبه العنصري؟! . .

● بل أين هي حتى ظلال العقلانية في الدين الذي لا يزال أهله - حتى القرن الواحد والعشرين - يعتقدون أن «تمتمات» ببعض الكلمات اللاتينية، تحول الخبز والخمر إلى

(١) جيوم [الفلسفة وعلم الكلام] - انظر كتاب [تراث الإسلام] ص ٣٧٩ - ترجمة: جرجيس فتح الله - طبعة بيروت ١٩٧٢م.

لحم معبودهم ودمه! . . ثم «يتناولونه» - يتناولون معبودهم ويأكلونه . . ليذهبوا - بعد ذلك - بفضلات هذا المعبود إلى حيث يعرف الجميع!!

أين هي العقلانية التي تتحدث عنها وتباهى بها يا عظيم الفاتيكان، وها هو القديس «أوغسطين» [٣٥٤ - ٤٣٠م] يقول:

«أؤمن بهذا لأنه محال أو غير معقول»!! . . كما يقول القس وهيب الله عطا: «إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً»!!^(١).

أين هي العقلانية عند الذين يقول كتابهم: «اعتقد وأنت أعمى»!! . . «اغمض عينيك ثم اتبعني»!!

● وإذا كنت - يا عظيم الفاتيكان - لم تقرأ ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي عن مقام العقل في الإسلام . . فهل يليق بمثلك أن تجهل ما كتبه علماء الغرب عن هذه العقلانية الإسلامية، ودورها في انتشار الإسلام؟! . . وما كتبه عن لا عقلانية مسيحيك الرومانية، التي غبشتها وأفسدتها الثقافة الهلينية، وملاؤها بالأسرار والألغاز . . ودور هذه اللاعقلانية في هزيمة مسيحيك أمام عقلانية الإسلام؟!

كيف جهلت - يا عظيم الفاتيكان - ما كتبه العلماء الأعلام الغربيون الذين جمعوا بين فقه الإسلام وفقه النصرانية . . ومنهم العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ - ١٩٣٠م] - عملاق الثقافة الإنجليزية . . الذي أورد في كتابه الفذ [الدعوة إلى الإسلام] شهادات العلماء والفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين الغربيين على عقلانية الإسلام . . وعلى امتلاء المسيحية بالأسرار والألغاز التي يستحيل فهمها حتى على أهل الاختصاص . .

لقد قال العلامة سير توماس أرنولد:

«ولا يستطيع أى فرد أن يوضح الطابع العقلي للعقيدة الإسلامية، وما جتته من هذا

(١) د. أحمد شلبي [مقارنة الأديان] ج٢ ص ١٢٤ .

الطابع من الفائدة في نشر الدعوة، توضيحاً يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفسور «إدوارد مونتييه» [١٨٥٦ - ١٩٢٧م] ^(١) في العبارات التالية:

«الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق. . إن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل. . إن الإيمان بالله والآخرة - في الإسلام - يستقران في نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام.

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطراً عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول. ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزاي. . وفي هذا تكمن الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية - ثم هي تبعاً لذلك في متناول إدراك الشخص العادي - أن تمتلك - وإنها لتمتلك فعلاً - قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس.

● وغير شهادة هذا العالم الفرنسي - «مونتييه» - الخبير بالقرآن والإسلام والخبير بالكاثوليكية - يورد العلامة سير توماس أرنولد شهادة اللاهوتي الإيطالي «الأب مراتشي» Marracci [١٦١٢ - ١٧٠٠م] - وهو الذي نشر القرآن متناً وترجمه بالإيطالية. . كما أسهم في ترجمة العهدين القديم والجديد. . يورد «أرنولد» شهادة «مراتشي» على عقلانية الإسلام، والتي يقول فيها:

«لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري،

(١) مونتييه: مستشرق فرنسي. ترجم القرآن إلى الفرنسية. ومن مؤلفاته [حاضر الإسلام ومستقبله].

أو التي هي - على الأقل - من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة - [العقيدة المسيحية] - وبين عقيدة القرآن، لانصرف عن الأولى في الحال، وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول . . .» .

● وغير هاتين الشهادتين الغربيتين على تميز الإسلام وامتيازه في العقلانية - بل وتفرد به - وخاصة إذا ما قورن بالنصرانية - يورد العلامة سير توماس أرنولد، شهادات غريبة على أن هذه العقلانية الإسلامية هي السرف في هذا الانتشار الذي شهدته هذه العقيدة الإسلامية . .

يورد شهادة الأمير والمستشرق الإيطالى «كايتانى - ليون» [Caetani ١٨٦٩ - ١٩٢٦م] - وهو الخبير فى الإسلام والدراسات الإسلامية . . وصاحب الإنجازات المتميزة فى تحقيق التراث الإسلامى - التى يقول فيها :

«إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى .

أما الشرق، الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالأعلى عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها .

فلما أهلت آخر الأمر أبناء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية، التى اختلطت بالغش والزيف، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة وإغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضرية من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايأ مادية جلييلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل . وحيث ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبي بلاد العرب» . .

● وغير هذه «الشهادة - الوثيقة» لكايثانى - على أن عقلانية الإسلام هى السرف فى انتشاره السريع، وانتصاره على اللاعقلانية المسيحية . . قدم «أرنولد» شهادة الفيلسوف الأمريكى «جون تايلور» [Cunon Tylor ١٧٥٣ - ١٨٢٤م] . . والتى يقول فيها :

«إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا . كان أئمة اللاهوت في إفريقية والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصة ، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبية في السماء ، وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة ، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة ، والقذارة صفة لطهارة الرهبة ، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة ، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم ، فأزال الإسلام - بعون من الله - هذه المجموعة من الفساد والخرافات .

لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة ، وحنة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى . ولقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته ، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه . وأعلن أن المرء مسئول ، وأن هناك حياة آخرة ويومًا للحساب ، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة المنازعين في الدين ، وأحل الشجاعة محل الرهبة ، ومنح العبيد رجاء ، والإنسانية إخاء ، وهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية ، التي تقوم عليها الطبيعة البشرية»^(١) .

إذا كان عظيم الفاتيكان - أستاذ الفلسفة - قد جهل عقلانية الإسلام - كما جاءت في مصادره - فلماذا تجاهل ما كتبه علماء الغرب في هذا الميدان . . وهو شهير ومنشور بمختلف اللغات الغربية التي يتقنها عظيم الفاتيكان؟!

أم أن «الغرض» هو «المرض»! . . الذي جعل الرجل يتجاهل هذا «المقال الغربي» في عقلانية الإسلام . . ولا عقلانية المسيحية التي انتصر عليها الإسلام؟! . .

(١) أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٨٩ - ٩١ . ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى . طبعة القاهرة ١٩٧٠م . وانظر كتابنا [الإسلام في عيون غربية] ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ٨٧ ، ٨٨ .

• ويا ليت الأمر قد وقف بهذا البابا عند «الجهل» و«التجاهل»!! . .

ذلك أن بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - قد استند في حكمه على الإيمان الإسلامي بأنه لا عقلاني ولا منطقي . . وأنه «إيمان وثني أعمى»! . . استند إلى نص منسوب إلى الإمام الفيلسوف والفقهاء ابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] . . فقال:

«لقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا . .» .

ثم علق البابا - في محاضراته - على هذه «الفكرة» المنسوبة لابن حزم، فقال - مقارنةً هذه «الفكرة» باعتقاده المسيحي -:

«إن القول الفصل في النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مباح لطبيعة الرب . ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشى مع أي من خصائصنا، بما فيها العقلانية» .
ثم خلص - هذا البابا - إلى وصف الإيمان الإسلامي بأنه إيمان وثني أعمى . .
وبنص عبارته:

«ففيما يتعلق بإرادة الله - [في الإسلام] - فإنه ينبغي علينا التعبّد بشكل وثني أعمى»!!

وأمام هذا الحكم الفاجر - وليس فقط الجائر - على الإيمان الإسلامي . . لا بد من وقفات:

• إن بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - هو أستاذ للفلسفة، مارس العمل الأكاديمي وتقاليد البحث العلمي الأكاديمية قبل أن ينخرط في سلك الكهنوت . .
ولقد تولى - في القاتيكان - قبل البابوية «عمادة كلية الكاردينالات» . . ومن تقاليد البحث العلمي - التي يعرفها حتى المبتدئون في هذا الميدان - الرجوع في الاستشهاد بالنصوص إلى مصادرها الأصلية، فهل صنع ذلك بابا القاتيكان - وهو أستاذ الفلسفة - عندما استشهد بابن حزم، وأسس حكمه على الإيمان الإسلامي بأنه لا عقلاني ووثني أعمى، بناء على هذا «الشاهد» الذي استشهد به؟! .

إن أستاذ الفلسفة - الحبر الأعظم للقاتيكان - قد خان أمانة البحث العلمي . . واستند إلى «شهادة شاهد مزور وكاذب»!! . .

فهو لم يرجع إلى ابن حزم - وكتبه مترجمة إلى العديد من اللغات الغربية - وإنما اعتمد - هذا الأستاذ للفلسفة - على «منهج العنعنات» . . فاستند إلى مسيحي لبناني هو «عادل تيودور خورى» . . الذى لم يرجع هو الآخر إلى المصادر الأصلية لابن حزم . . وإنما أخذ عن باحث فرنسى فى الإسلاميات ، هو «أرنالدليز»! . . وهذه سقطة وخيانة لتقاليد البحث العلمى ما كان يليق بابا القاتيكان - أستاذ الفلسفة - أن يقع فيها . . خصوصاً عندما يتحدث فى محاضرة فلسفية - عن علاقة الإيمان بالعقل - فى الجامعة التى كان يدرس فيها الفلسفة . . وإلى نخبة من الأساتذة الجامعيين الأكاديميين! . . ثم يرتب على هذه السقطة وشهادة الزور ذلك الحكم الجاهل والفاجر على الإيمان الإسلامى - الذى يتدين به مليار ونصف المليار من البشر - وهو الإيمان الذى يقض انتشاره مضاجع البابا حتى فى عقر داره الأوروبية!

● ولقد ظننت ، فى بادئ الأمر - لحسن ظنى بأمانة الرجل الأكاديمية - أن الأمر لا يعدو أن يكون إساءة فهم منه للفكرة المنسوبة لابن حزم . . وظننت أن ابن حزم يدافع عن طلاقة المشيئة الإلهية والقدرة الإلهية فى مواجهة المعتزلة الذين «أوجبوا» على الله فعل الصلاح والأصلح - الأمر الذى يوهم أنهم قد حدوا من طلاقة القدرة والمشيئة الإلهية - وأن الأمر لا يعدو الرفض - من ابن حزم - لتقييد المشيئة الإلهية والقدرة الربانية . .

لكن . . عن لى أن أختبر مدى الصدق والأمانة فى هذا الذى نسبته البابا إلى ابن حزم ، نقلاً عن «الأساتذة» الكاثوليك - عادل تيودور خورى . . وأرنالدليز .

ولم يكن هذا الاختبار بالأمر السهل أو الميسور . . وذلك لأن البابا - أستاذ الفلسفة - قد وقع فى سقطة علمية أخرى عندما نسب كلاماً لابن حزم ، دون أن يقول لنا : ما هو الكتاب الذى قال فيه ابن حزم هذا الكلام؟

إن لابن حزم عشرات الكتب . . وبعض هذه الكتب تبلغ مجلداتها العشرات . . ففى أى كتاب؟ . . أو جزء؟ . . أو صفحة؟ . . وفى أية طبعة من الطبعات يمكن العثور على هذا الذى نسبته البابا إلى الإمام ابن حزم؟ . . بل . . وفى أية لغة من اللغات التى ترجم إليها فكر ابن حزم تم النقل عنه من قبل الذين نقل عنهم بابا القاتيكان؟؟!

لكن خطر القضية . . وخطورة الحكم الذى حكم به البابا - أستاذ الفلسفة - على الإيمان الإسلامى ، جعلنى أستعين بالخبرة فى التعامل مع المصادر . . ومطابن القضايا والأفكار . . حتى هدانى الله فعثرت على المصدر الذى تحدث فيه ابن حزم حول هذا الموضوع - فى كتابه [الفصل فى الملل والأهواء والنحل] . .

ولقد كانت المفاجأة الأعظم عندما اكتشفت الكذب البواح والاعتغال الفكرى الصريح الذى مارسه الحبر الأعظم - و «الأساتذة» الكاثوليك الذين نقل عنهم - ضد أفكار ابن حزم حول طلاقة المشيئة الإلهية ولا محدودية القدرة الإلهية . .

منهج الاعتغال الفكرى على طريقة [لا تقربوا الصلاة] و [ويل للمصلين]!! . .

فابن حزم لم يرد فى كلامه ولم يخطر بباله أن يقول : «إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وإنه ما من شىء يلزمه بكشف الحقيقة لنا . .» . . ومن ثم لم يقل إن مشيئة الله منفكة عن العدل والمنطق المعقول والصلاح والأصلح . . وإنما ميز بين قدرة البشر المحدودة . . وبين قدرة الله التى لا تحددها حدود . . وأكد - فى الوقت ذاته - بالنصوص الصريحة اتساق المشيئة الإلهية مع الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقل . . لأنه - سبحانه - مع طلاقة مشيئته وقدرته ، لا يفعل الظلم ولا الجور ولا العبث ولا الكذب ، مما لا يليق بذاته المتصفة بصفات الجلال والجمال والكمال . . ومن ثم فلا يصدر عنه - سبحانه - ما ينافى الحكمة والعقل والمنطق . . لأن فعل ذلك هو من صفات المخلوقين ، وليس من صفات الخالق . . وهو - سبحانه - الذى كتب على نفسه الرحمة . . والذى لا يظلم أحداً . . والذى لا يأمر بالفحشاء ولا المنكر . . والذى أحسن كل شىء خلقه وقدره تقديراً . .

لقد كشفت نصوص ابن حزم عن حقيقة الإيمان الإسلامى - الإيمان بمشيئة إلهية وقدرة ربانية لا تعرف الحدود . . ولا تنتهى . . وفى الوقت ذاته منزهة عن مجاوزة الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقلانية بكل ما تعنى هذه المصطلحات عند الذين يفقهون ويعقلون . . وحتى تتكشف «العورة الفكرية» و «السقطة المنهجية» و «الكذبة الكبرى» التى سقط فيها «أستاذ الفلسفة» والحبر الأعظم للثائكان - هو وحزبه - نورد نصوص الإمام ابن حزم حول القدرة الإلهية والمشيئة الربانية فى التصور العقدى للإسلام والمسلمين . . وهو فى هذه النصوص يقول لمن يسأل :

- هل طلاقة القدرة الإلهية - القادر على كل شيء - تجعله فاعلاً للكذب مثلاً - وهو في مقدوره؟

فيقول ابن حزم - في جواب هذا السؤال -:

«إن الله تعالى فعال لما يشاء، وعلى كل شيء قدير . . . [وكان الله عليماً قديراً] فأطلق تعالى لنفسه القدرة، وعم ولم يخص، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه . . . فإن قال قائل: فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ولا تصح، ويكون كل ما أخبرنا به كذباً؟» .

ثم يجيب ابن حزم على سؤال هذا القائل:

«وجوابنا في هذا . . . أن الله تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله . . . وأنه تعالى لا يجور ولا يكذب . . . ولا يظلم، وأنه تعالى قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته، وأنه تعالى قادر، وليس كل ما يقدر عليه يفعله . . . وكل من يدين بأن الله حق مجمعون على أنه تعالى لا يكذب ولا يظلم . . . وقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديماً وحديثاً، لا نحاشى أحداً، على أن الله تعالى لا يظلم ولا يكذب . . .

ولقد قام البرهان على أنه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الأشياء، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور، والعجز من صفة المخلوقين، فهو منفي عن الله عز وجل جملة، وليس في الخلق قادر بذاته على كل مستول عنه، فوجب أن البارئ تعالى هو الذي يقدر على كل مستول عنه . وكذلك الكذب والظلم من صفات المخلوقين، فوجب يقيناً أنهما منفيان عن البارئ تعالى .

فهذا هو الذي آمننا من أن يظلم أو يكذب أو يفعل غير ما علم أنه يفعله، وإن كان تعالى قادراً على ذلك»^(١) .

هذه هي نصوص الإمام ابن حزم الأندلسي، حول الإيمان الإسلامي بطلاقة المشيئة الإلهية، ولا محدودية القدرة الإلهية . . . وفي الوقت ذاته تنزيه الذات الإلهية عن كل ما يليق بالحكمة المطلقة . . . والعدل المطلق . . . والرحمة المطلقة . . .

(١) ابن حزم [الفصل في الملل والأهواء والنحل] ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨ - طبعة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

لقد تنزهه - سبحانه - عن العجز البشرى . . وعن فعل ما لا يليق بذاته المنزهة . . لقد خلق كل شيء بقدر . . وكتب على نفسه الرحمة . . وهو ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الشورى : ١٧] - ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] ومن ثم فلا تناقض بين طلاقة قدرته - سبحانه - وبين الحكمة والمنطق والعقل - كما يفهمها الحكماء والعقلاء . .

تلك هي الحقيقة التي «جهلها - وتجاهلها» بابا الثاياتكان - أستاذ الفلسفة - فافتري على الإمام ابن حزم، ونسب إليه ما لم يقله . . بل افتري عليه عكس ما قاله!! . .

لقد قال ابن حزم: «لقد أخبرنا الله تعالى بأنه قد تمت كلماته صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته» .

وافتري البابا على ابن حزم عندما نسب إليه عبارة: «إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة»!!

وهكذا بلغ الافتراء حد الفجور . . ثم صعد به إلى حيث عممه على الإيمان الإسلامي، فوصفه بأنه «إيمان وثني أعمى»!! . . فلم يقف الافتراء عند ابن حزم . . وإنما عممه البابا على الإسلام . . وكل المؤمنين بالإسلام!! . .

وهكذا تأسس الافتراء الغريب والعجيب على فضيحة علمية من «الوزن الثقيل»!! . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الافتراء على رسول الإسلام

ثم . . هل يليق بعظيم الثاتيكان ، أن يقتبس الافتراءات التي تتحدث عن أن رسول الإسلام ﷺ لم يأت إلا بما هو سيء ولا إنساني وشيرير؟! . . ومن ذلك حضه على نشر دينه بالسيف؟! . .

وإذا كانت «خارطة العالم الإسلامي» تقول: إن أربعة أخماس الأمة الإسلامية لم يدخل بلادها جيش إسلامي فاتح . . ولا عرفت في تاريخها حروباً ولا فتوحات . . وإنما دخلها الإسلام وانتشر فيها بالقدوة والأسوة وتميز منظمومة القيم والأخلاق التي جاء بها الإسلام - والتي حملها إلى هذه البلاد التجار والعلماء والمتصوفة . .

كما تقول حقائق تاريخ الفتوحات الإسلامية: إن هذه الفتوحات جميعها إنما تمت ضد قوى الهيمنة الاستعمارية والحضارية التي قهرت الشرق واستعمرته ونهبتة لعشرة قرون - من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م] - في القرن الرابع قبل الميلاد - إلى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م] - في القرن السابع للميلاد . .

وتقول هذه الحقائق - كذلك - بأن جميع معارك تلك الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الاستعمار البيزنطي والفراسي ، ولم تدر معركة واحدة ضد أهل البلاد من الشرقيين . .

بل وتقول هذه الحقائق - أيضاً - إن الشعوب الشرقية قد وقفت مع جيوش الفتح الإسلامي ضد المحتلين البيزنطيين الرومان؛ لأنها رأّت في الفتح الإسلامي تحريراً للأرض والأوطان من النهب الروماني ، وتحريراً للشرق من القهر الحضاري البيزنطي . . وتحريراً للمسيحية الشرقية وضمائر أهلها من الاضطهاد الديني - بل

والإبادة- التي مارسها الكنيسة الرومانية ضد النصرانية الشرقية . . . وقفت هذه الشعوب الشرقية جميعها مع جيوش الفتح الإسلامي، وهي على دياناتها السابقة على الإسلام . . . ولقد شهد الأساقفة النصارى الشرقيون- ومنهم شهود العيان على هذا الفتح الإسلامي- على أن هذا الفتح إنما كان «إنفاذاً» للنصرانية الشرقية- التي اضطهدتها الرومان- وتحريراً للكنائس والأديرة الشرقية- التي اغتصبها الرومان- . . . وعلى أن هذا الفتح إنما جاء «عقاباً إلهياً»- بيد إسلامية- للرومان على ظلمهم الذي مارسوه ضد الشرق والشرقيين لعشرة قرون . . .

● شهد بهذه الحقيقة- التي تجاهلها عظيم الفاتيكان- الأسقف القبطي «يوحنا النقيوسى» . . . فقال :

«إن الله- الذي يصون الحق- لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرتهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين- [العرب المسلمين]- ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر . . .

وكان هرقل حزيناً . . . وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم . . . مرض هرقل ومات . . .

وكان عمرو- [بن العاص ٥٠ ق.هـ- ٤٣هـ / ٥٧٤- ٦٦٤م]- يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئاً ما، سلباً أو نهباً، وحافظ عليها- [الكنائس]- طوال الأيام^(١).

● وشهد بذلك بطرك المصريين «بنيامين» [٣٩هـ / ٦٥٩م]- الذي ظل هارباً من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عاماً . . . حتى جاء الفتح الإسلامي فأمنه . . . وأعادته إلى كرسي كنيسته . . . وأعاد إليه كنائس رعيته وأديرته من الاغتصاب الرومانى . . . فخطب في «دير مقاريوس»- بعد التحرير الإسلامى- فقال :

«لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدتهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون»^(٢).

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى : رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١، ٢٢٠ . ترجمة ودراسة : د. عمر صابر عبدالجليل . طبعة القاهرة ٢٠٠٠م .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٠ .

● ولقد وصف الأسقف «يوحنا النقيوسى» فرح المصريين بانتصار المسلمين على الرومان . . وبهجتهم بتحرير المسلمين للبطرك «بنيامين» ورد الكنائس والأديرة إلى أهلها . . وصف ذلك الذى شهدته عيناه، فقال :

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ - [أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها .

وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» - [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر]- . . وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر . .»^(١) .

● كما شهد بذلك الأسقف «ميخائيل السريانى» - بعد خمسة قرون من الفتح التحريرى الإسلامى - فقال - فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى -:

«وهذا هو السبب أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء . . لما رأى شرور الروم الذين لجؤوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب من غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . . ولم يكن كسبنا حينئذ أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»^(٢) .

. . وهكذا رأى ميخائيل الأكبر - بطريق أنطاكية اليعقوبى - «أصبح الله فى الفتح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون»^(٣) - كما يقول العالم الإنجليزى توماس أرنولد .

● وشهد على هذا الطابع التحريرى للفتح الإسلامى، العلامة سير توماس أرنولد
[١٨٦٤ - ١٩٣٠ م] فقال :

(١) المصدر السابق: ص ٢٢٠ .

(٢) توماس أرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢، ٧٣ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٨ .

(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢ .

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا - بوجه الإجمال - فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»^(١).

● وشهد بذلك - أيضاً - المستشرق الألمانى الحجة «آدم متز» [١٨٦٩ - ١٩١٧م] عندما قال:

«لقد كان النصرارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام!»^(٢).

● ولقد استمرت شهادات الإنصاف للفتوحات الإسلامية - من رجال الدين . . والمؤرخين غير المسلمين - حتى القرن العشرين . . فكتب يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧ - ١٩٠٥م] فى كتابه [تاريخ الأمة القبطية] يقول:

«ولما ثبت قدم العرب فى مصر، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين باستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أماناً وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريك للحضور، ولا خوف عليه ولا تشريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريك الذى كان إقامة هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأسمى معززاً مكرماً . .

وكان بنيامين موصوفاً بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم) . . وقيل إن عمراً لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعو فى بعض الأوقات ويستشيره فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذه الالتفات منة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

(١) المصدر السابق: ص ٧٢٩، ٧٣٠.

(٢) آدم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ج ١. ص ١٠٥. ترجمة: د. محمد عبدالهادى أبو ريدة. طبعة بيروت ١٩٦٧م.

واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كل منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نواباً من القبط ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية، وكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة.. وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد..

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان..»^(١).

هكذا شهدت هذه الشهادات - التى كتبها أقباط ومستشرقون - منهم من كان شاهد عيان على الفتوحات الإسلامية.. شهدت على أن هذه الفتوحات:

● هى التى أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية..

● وأعدت الشرعية والعلنية والحرية لهذه النصرانية الشرقية، بعد أن حظرها الرومان، وعاملوها باعتبارها هرطقة ممنوعة - وبعبارة «ميخائيل الأكبر - السريانى»: «فإن الإمبراطور الرومانى لم يسمح لكنيستنا المونوفيزيتية - [القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح] - بالظهور، ولم يصنع إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التى نهبت؛ ولهذا فقد انتقم الرب منه».

● وحررت دور العبادة النصرانية - الكنائس والأديرة - من الاغتصاب الرومانى، لا ليتخذها المسلمون مساجد، وإنما أعادوها إلى النصارى الوطنيين.. حتى «ليروى أنه خرج للقاء عمرو بن العاص من أديرة وادى النطرون - بمصر - سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وأنه كتب لهم كتاباً - [بالأمان] - هو عندهم..»^(٢).

● وحررت - هذه الفتوحات الإسلامية - الناس.. فأشركتهم فى حكم بلادهم..

(١) يعقوب نخلة ووفيلة [تاريخ الأمة القبطية] ص ٥٤ - ٥٧. تقديم: د. جودت جيرة. طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ - القاهرة ٢٠٠٠ م.

(٢) د. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص ١٩٤. طبعة القاهرة ٢٠٠١ م.

وأعدت إليهم استقلالهم القانوني . . والقضائي . . والمدني . . الذي حرّموا منه طوال قرون الاستعمار الروماني . .

● كما أعادت العدالة الاجتماعية إلى هذه البلاد، عندما نظمت الضرائب . وجعلتها على أقساط . . وفي آجال محددة . . وحصرتها في ضربيتين بعد أن كان المواطن يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان!

● وعاد الطابع الوطني للنصرانية الشرقية وكنائسها وراثاتها . . فعزل عمرو بن العاص «البطرك - الاستعماري» الروماني . . وأعاد البطرك «بنيامين» إلى كرسي كنيسة الوطنية المصرية . .

● وإذا كان المستشرق الألماني الحجة «آدم متز» قد وصف حال النصارى في ظل الدولة الإسلامية فقال :

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام» . . فإن هؤلاء النصارى قد حرّموا من حرياتهم المدنية . . والسياسية . . والقانونية . . والقضائية . . والثقافية . . واللغوية طوال القرون التي ابتليت بلادهم فيها باستعمار الرومان والبيزنطيين . .

● ولذلك ، كان استقبال شعوب الشرق للفتاحين المسلمين كمحررين . . وبعبارة المؤرخ النصراني «جك تاجر» [١٩١٨ - ١٩٥٢ م]:

«إن الأقباط قد استقبلوا العرب كمحررين ، بعد أن ضمن لهم العرب - عند دخولهم مصر - الحرية الدينية ، وخففوا عنهم الضرائب . . ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام وإدماجهم في المجموعة الإسلامية ، بفضل إعفائهم من الضرائب . . أما الذين ظلوا مخلصين للمسيحية ، فقد يسر لهم العرب سبل كسب العيش . . إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة»^(١).

● وحتى البابا شنودة الثالث [١٩٢٣ -] - بابا الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - أكبر كنائس الشرق وأعرقها - والذي كتب عن عدل الإسلام وسماحته ، وعن عدل الخلفاء والحكام المسلمين مع غير المسلمين . . فقال عن عدل الراشد الثاني عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ - ٥٨٤ - ٦٤٤ م]:

(١) د. جاك تاجر [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢ م] ص ٣٠٩ ، ٣١٥ . طبعة الهيئة القبطية بالمهجر . مدينة جرمي - أمريكا ١٩٨٤ م .

«لقد رأينا في التاريخ الإسلامي أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية . . نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتي بعده في الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين :

الأمر الأول : وفاء العهود التي أعطيت لهم .

والأمر الثاني قال فيه : ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون .

. . . وحينما كان الوليد بن عقبة والياً على بنى تغلب ومن فيهم من نصارى . . . ورأى عمر أن الوليد هدد هؤلاء الناس وتوعدهم، عزله من الولاية حتى لا يلقي بهم شرًا . . . وهكذا كان المسلمون يسلكون في العدل بين رعاياهم، أيا كان مذهبهم . . .

ولقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض، وانتهت مدة خلافته، ولكن الخير الذي عمله لم يمت بموته إطلاقاً، ولا يزال حيًّا الآن يملأ الأذان ويملاً الأذهان . . . ويحيا مع الناس على مدى الأزمان» . . .

كما تحدث البابا شنودة عن سماحة الخليفة معاوية بن أبي سفيان [٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م] مع غير المسلمين . . . فقال :

«لقد كان طبيبه الخاص نصرانياً . . . واختار رجلاً مسيحياً لكي يؤدب ابنه يزيد . . . ويزيد هذا اختار كاهناً مسيحياً لكي يؤدب ابنه خالدًا» .

وتحدث عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [٢٦ - ٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥ م] فقال :

«لقد اتخذ يوحنا الدمشقي [٥٥ - ١٢٢ هـ / ٦٧٥ - ٧٤٠ م] مستشاراً له . . . وقد اختار رجلاً معلماً مشهوراً اسمه «أطانا سيوس» لكي يؤدب أخاه عبد العزيز . . . ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكماً لمصر أخذ «أطانا سيوس» معه كمستشار له . . . ونجد أن الأخطل [١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م] كان من الشعراء المسيحيين المشهورين، واندمج في مجموعة متلازمة مع جرير [٢٨ - ١١٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م] والفرزدق [١١٠ هـ / ٧٢٨ م] واشتهرت هذه المجموعة في العصر الأموي . . . وكان الأخطل المسيحي حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له بإجلالاً لعلمه وأدبه - كما يروى التاريخ الإسلامي» . . .

كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك [٧١-١٢٥هـ / ٦٩٠م - ٧٤٣م] فيقول:

«إنه ابتنى للبطريرك في أيامه بيتاً إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته . . .» .

ويشهد - كذلك - للعصر العباسي، فيقول:

عن أبي جعفر المنصور [١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٣-٧٧٤م]: «إن طبيبه الخاص كان مسيحياً اسمه «جرجس بن بختيشوع» . وكان الخليفة هارون الرشيد [١٤٩-١٩٣هـ / ٧٦٦-٨٠٩م] يقول للناس:

«من كان منكم له حاجة عندي فليكلم فيها جبرائيل؛ لأنني لا أرد له طلباً . . . وكان يوحنا مشهوراً من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل [٢٠٦-٢٤٧هـ / ٨٢١-٨٦١م] . . . وكان هؤلاء الخلفاء يدعونهم إلى موادثهم، وما يأكلون شيئاً إلا في حضرته . . . وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء في العصر الإسلامي، حتى قيل عنه إنه أبو قراط عصره وجالينوس دهره . . . وحنين بن إسحق هذا تعلم الفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١هـ / ٧٨٠-٨٥٥م] وكذلك اللغة على يد سيويه [١٤٨-١٨٠هـ / ٧٦٥-٧٩٦م] ونبغ في اللغة العربية نبوغاً عظيماً . . .» .

كما شهد البابا شنودة للدولة الطولونية، ومؤسسها أحمد بن طولون [٢٢٠-٢٧٠هـ / ٨٣-٨٨٤م] «الذي كان من المحبين للأقباط كثيراً، والذي اختار مسيحياً لكي يبني له مسجده . . . واختار مسيحياً لكي يبني القناطر وكثيراً من منشأته . . . وكان يذهب كثيراً لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك . . . فلقد كانت الأديرة المصرية دائماً مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة، وكانوا يحبونها، ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها» . . .

كما شهد البابا شنودة للدولة الإخشيدية، ومؤسسها محمد بن طغج الإخشيد [٢٦٨-٣٣٤هـ / ٨٨٢-٩٤٦م] «الذي كان يبني الكنائس بنفسه ويتولى ترميمها» .

كما شهد للدولة الفاطمية . . . فقال: «ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها . . .» .

ثم يختم البابا شنودة شهادته للتاريخ الإسلامى والسماحة الإسلامية، فيقول:
«كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها»^(١).

فهلاً قرأ عظيم القاتيكان هذه الشهادات - التاريخية . . والمعاصرة - على هذه الحقائق . . قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله ﷺ فرية الانتشار بحد السيف؟! . . وإذا كان الرجل قد جهل هذا التراث الشرقى - القديم . . والحديث . . والمعاصر . . فلماذا تجاهل الكتابات الغربية الحديثة التى أنصفت الفتوحات الإسلامية . . وأعلنت أن الانتشار الإسلامى إنما تم سلماً . . بل وحتى دون وجود «مؤسسة دعوية تبشيرية» تقوم على نشر الإسلام! . .

لقد قال «جورج سيل» [١٦٩٧ - ١٧٣٦م] - وهو مترجم القرآن إلى الإنجليزية -:

● «لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له فى العالم . . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما يتخذعون انخداعاً عظيماً»^(٢).

● وقال العلامة «سير توماس أرنولد»:

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق . . إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى . .»^(٣) . . ولقد قيل إن «جستنيان» [٤٨٣ - ٥٦٥م] - الإمبراطور الرومانى - أمر بقتل مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط . . حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان . .

(١) من خطاب البابا شنودة فى احتفال وضع الحجر الأساسى لمستشفى مارمرقس - بحضرة الرئيس أنور السادات - فى ١١ أكتوبر ١٩٧٧م - انظر مجلة [وجهاً نظراً] ص ١٨ - ٢٠ . عدد ديسمبر ٢٠٠٥م - القاهرة .

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٨٥ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٨١ .

(٣) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٨٨ ، ١٦١ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٥ .

ويظهر أن حالة القبط فى الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعاً ما .

وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين . . بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح ، حين كانت الإسكندرية - حاضرة مصر وقتئذ - لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة . .»^(١) .

● بل وأثبت هذا العلامة - سير توماس أرنولد - أن المسيحية الغربية هى التى انتشرت بالسيف والعنف !! . . .

- فلقد فرض «شارلمان» [٧٤٢ - ٨١٤م] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف . . .

- وفى الدايمرك استأصل الملك «كنوت» Cnut [٩٩٥ - ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب . . .

- وجماعة إخوان السيف Bretheren of the Sword وغيرهم من الصليبيين ، الذى أدوا رسالتهم بالسيف والنار فى تنصير البروسيين الوثنيين . . .

- ولقد فرض فرسان Ordo Fratram Miliuechris المسيحية على شعب ليثونيا فرضاً . . .

- وفى ١٦٩٩م وجه «فالنتين» Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyna مرسوماً يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعى الكنيسة . . وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله» .

- وفى فيكن Viken (القسم الجنوبي من النرويج) كان الملك «أولاف ترايغفيسون» Olaf trygvesson [٩٦٣ - ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية ، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم ، أو بنفيهم وتشريدهم . وبهذه الوسائل نشر الدين فى «فيكن» بأسرها .

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣ ، ١٢٤ - وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٨٥ ، ٨٦ .

- ووصية القديس لويس [١٢١٤ - ١٢٧٠م] تقول: «عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسىء إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذى يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء»!

- وفى المجر أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه - من «الباشغردية» بعد ١٣٤٠م على اعتناق المسيحية - بعد أن كانوا مسلمين - أو مغادرة البلاد .

- وفى ١٧٠٣م أباد الأسقف - الحاكم - «دانيال بيتروفتش» D. petrovich - فى الجبل الأسود - جميع المسلمين الذين لم يتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية . . فى ليلة عيد الميلاد!

- وفى روسيا فرض ملكها «فلاديمير» Vladimir ٩٨٨م النصرانية على جميع رعاياه - سادة وعبدا . . أغنياء وفقراء - فسيقوا جميعا إلى التعميد بمجرد اعتناق الملك للمسيحية . . ولم يفتح باب الحرية الدينية فى روسيا إلى ١٩٠٥م! . . وكانت عقوبة التحول عن المسيحية التجريد من الحقوق المدنية، والسجن - مع الأشغال الشاقة - ما بين ثمانى وعشر سنوات!

- وفى الحبشة جعل الملك «سيف أرعد» [١٣٤٢ - ١٣٧٠م] الإعدام عقوبة للمسلمين الذين يرفضون التحول إلى المسيحية . . أو النفى من بلادهم! . . وكذلك صنع ملكها «جون» . . الذى أجبر ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد! . . كما أجبر نصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية^(١)!

* * *

فأى الدينين - الإسلام؟ . . أم المسيحية؟ - هو الذى انتشر بالسيف - يا عظيم القاتليكان؟ . . وتلك هى الشهادات الغريبة التى تحكى - بالوقائع - كيف كانت العقلانية هى سر انتشار الإسلام . . وكيف كان السيف هو أداة انتشار المسيحية . . وخاصة فى أوروبا . . وفى موطنك - بروسيا - على وجه التحديد، كان السيف والنار

(١) المصدر السابق: ص ٣٠، ٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١-١٤٣ .

أداة نشر المسيحية من قبل جماعة «إخوان السيف»! . . أى أن أجدادك - يا عظيم القاتيكان - قد أجبروا على اعتناق المسيحية بالإكراه . . . وتحت تهديد السيف والنار! . . . فهل يجوز لمثلك - أو لغيرك - مع هذه الشهادات الغربية - الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بالسيف . . . ونسبة هذا «الوهم والافتراء» إلى نبي الرحمة . . رسول الإسلام . . محمد - عليه الصلاة والسلام؟! . . .

● ثم . . لم لم يتفكر ويتعقل - عظيم القاتيكان - وهو دارس ومدرس للفلسفة الإغريقية - كيف يجتمع انتشار الإسلام بالسيف مع بقاء كل المذاهب والكنائس النصرانية - والكنس اليهودية - وحتى الديانات الوضعية - فى الشرق الإسلامى وفى الدولة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام!؟

لقد صدر عن «المعهد الوطنى للدراسات الديموجرافية» - فى فرنسا الكاثوليكية - كتاب [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ليثبت - بالحقائق والأرقام والإحصاءات - أن نسبة المسلمين بين رعية الدولة الإسلامية وشعوبها - فى مصر والمشرق العربى وفارس - بعد قرن من الفتوحات الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية، لم تتعد ٢٠٪ من السكان!!^(١).

فأين كان هذا السيف الذى يزعمون أنه كان السبيل لانتشار الإسلام؟! . . . والذى يفترونه على رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام -؟! . . .

إن وقائع التاريخ الإسلامى وحقائقه - وهى وقائع وحقائق . . . وليست نظريات - تقول:

● إن الدعوة الإسلامية قد مكثت بمكة ثلاثة عشر عاما - أى أكثر من نصف عمر هذه الدعوة - يتحمل أهلها كل صنوف العذاب والتعذيب والحصار والفتنة فى الدين، دون

(١) فيليب فارغ، يوسف كراباج [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص ٢٥ .
ترجمة: بشير السباعى . طبعة القاهرة ١٩٩٤م .

أية مقاومة مادية لهذا العذاب والتعذيب . . بل إن رسول الإسلام ﷺ كان يدعو للذين ينزلون به وبالمؤمنين هذا العذاب فيقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»!! . . .

● وإن الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة - وكذلك الهجرات التي سبقتها إلى الحبشة - كانت تهجيراً قسرياً واضطرابياً، وإخراجاً من الديار - وليست خروجاً طوعياً . . . وإنها قد تقرر وتتمت عندما بلغ الأمر الوثني ذروته، بقرار ملاً قريش وصناديد الشرك أن يسجنوا رسول الله ﷺ أو يقتلوه، أو يخوجه من وطنه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] . . وجميعها خيارات تعنى «الإعدام» . . فالسجن إعدام معنوي . . وكذلك الإخراج من الديار، إعدام بالحرمان من المجال الحيوي للحياة!

● وإن الدولة الإسلامية - تحت القيادة النبوية - إنما مارست القتال دفاعاً عن الدين ضد الذين فتنوا المسلمين في دينهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] . . وضد الذين استفزوا المسلمين فأخرجوهم من ديارهم . . والإخراج من الديار معادل للقتل والإعدام ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] . .

ولذلك، جاء الإذن بالقتال صدّاً للعدوان الذي مارسه المشركون، ورفعاً للظلم الذي وقع بالمسلمين المظلومين: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿[الحج: ٣٩، ٤٠] . . بل وانحصر هذا القتال الإسلامي في صد هذا العدوان على الدين والوطن، فقط لا غير . . ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴿[المتحنة: ٧ - ٩] . .

● وفي هذا القتال الدفاعي - الذي دارت أغلب معاركه حول «المدينة» - عاصمة الدولة الإسلامية - دفاعاً عن الدين والوطن، ضد المشركين الذين زحفوا للعدوان عليهما - سن الإسلام دستوراً أخلاقياً للقتال - قبل أربعة عشر قرناً من معرفة البشرية لمواثيق أخلاقيات القتال - فقال رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله - [أى من المشركين المعتدين] - لا تَغْلُوا - [أى لا تخونوا] - ولا تغدروا، ولا تمثلوا - [أى لا تمثلوا ببدن الخصم بعد قتله] - ولا تقتلوا وليداً - [ونهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان] - رواه مالك في [الموطأ] . . . ومسلم في الصحيح . . .

ولقد صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق [٥١ ق هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤ م] هذا الدستور لأخلاقيات القتال في وصاياه العشر لقائد جيشه «يزيد بن أبي سفيان» [١٨ هـ / ٦٣٩ م] وهو ذاهب إلى الشام لتحرير أرضها وشعبها من الاستعمار الروماني، فقال له:

«إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . . . وإنى موصيك بعشر:

- ١ - لا تقتلن امرأة . . .
- ٢ - ولا صبيًا . . .
- ٢ - ولا كبيراً هرمًا . . .
- ٤ - ولا تقطعن شجراً مثمرًا . . .
- ٥ - ولا تخربين عامراً . . .
- ٦ - ولا تعقرن شاة ولا بغيراً إلا لماكلة . . .
- ٧ - ولا تحرقن نخلاً . . .
- ٨ - ولا تفرقنه . . .
- ٩ - ولا تغلل . . .
- ١٠ - ولا تجبن . . .» - رواه مالك - في [الموطأ] . . .

● لقد جاء الإسلام رافضاً فلسفة «الصراع» فى حل المشكلات . . لأن الصراع يفضى إلى أن يصرع الطرف القوى الطرف الضعيف، وينفرد بالميدان، فتطوى صفحة التنوع والتعدد والاختلاف، التى جعلها الإسلام سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل . . واختار الإسلام سنة «التدافع»، بدلاً من سبيل «الصراع» . . والتدافع حراك اجتماعى، يعدل المواقف، ويعيد التوازن إلى العلاقات، مع الحفاظ على سنة التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٢) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤] . .

وفى إطار «فلسفة التدافع» السلمى - لا «الصراع القتالى» - عرض الإسلام على الشرك الوثنى فتح الأبواب لحرية الدعوة إلى الدين - كل دين - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون: ١، ٦] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] . .

وفى إطار هذه الفلسفة، قسم الإسلام الشرك والمشركون إلى ثلاثة أقسام:

١- المشركون المحايدون: الذين لم يحددوا موقفاً من الإسلام . . لأنهم لم يعرفوا حقيقته . . وهؤلاء لهم حقوق المعرفة والعلم . . وحرية اتخاذ الموقف الذى يريدون ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ [التوبة: ٦] . .

٢- والمشركون المعاهدون للمسلمين: الذين لم ينقضوا عهودهم ولم يغدروا بما عاهدوا عليه . . وهؤلاء لهم الوفاء بالعهود والعقود ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ [التوبة: ٤] . .

٣- المشركون الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين: واعتدوا على المؤمنين . . وفتنواهم فى دينهم . . وأخرجوهم من ديارهم . . وهؤلاء هم - فقط - الذين مارس

المسلمون ضدّهم القتال الدفاعي لردّ العدوان . . فهؤلاء هم الذين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠] . . ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣] . . ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْقَهُوا كُفْرَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] . . ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] . .

• ومع هذا الموقف الإسلامي الرفض «لفلسفة الصراع» . . والداعى إلى «التدافع السلمى» . . تميز الإسلام بجعل القتال: الاستثناء . . وليس القاعدة . . والضرورة التى تقدر بقدرها . . بل وجعله الاستثناء المكروه! . . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] . . وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، بقول رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» - رواه الدارمى . .

كما سنن التواضع لله . . والصفح والعتفو فى ذروة لحظات الانتصار على الأعداء الذين امتلأ تاريخهم مع الإسلام والمسلمين بالإساءات والثرات . . فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح الأكبر ساجداً لله على راحلته!! . . وقال لأهلها - يومئذ ٨هـ/ ٦٢٩م - وكثيرون منهم لا يزالون على شركهم -: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»!! . .

• ومع كل هذه الفلسفات الإسلامية التى حكمت علاقات الدعوة الإسلامية بالآخرين . . ومع هذه الضوابط الأخلاقية التى حكمت القتال الدفاعى الذى اضطر إليه المسلمون دفاعاً عن الدين والوطن . . بل وبسبب كل ذلك . . فإن ضحايا جميع الغزوات التى حدثت على عهد الدولة النبوية - وهى عشرون غزوة وسرية . . فى تسع سنوات - لم يتجاوزوا [٣٨٦] قتيلاً من الفريقين - قتلى المشركين . . وشهداء المسلمين -!! . .

بينما بلغ ضحايا الحروب الدينية فى أوروبا - بين الكاثوليك - سلف عظيم القاتيكان! - وبين پروتستانت - عشرة ملايين - وفق إحصاء الفيلسوف الفرنسى «فولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨م] - أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا -!! . .

إن حقائق الدراسة الميدانية لضحايا جميع الغزوات الدفاعية - في عهد النبوة - لتبدد ذلك الوهم الكبير الذى يتحدث أصحابه عن انتشار الإسلام بالسيف . .
 وها هو جدول هذه الغزوات . . وتعداد ضحاياها، الذين لا يبلغون تعداد حادث من حوادث المرور فى بلد صغير!! :

رقم	الغزوة	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	تاريخ الغزوة	ملاحظات
١	بعث عبد الله بن جحش	١	-	سنة ٢هـ	
٢	غزوة بدر	٧٠	١٤	سنة ٢هـ	
٣	غزوة السويق	-	٢	سنة ٢هـ	
٤	بعث كعب بن الأشرف	١	-	سنة ٣هـ	
٥	غزوة أحد	٢٢	٧٠	سنة ٣هـ	
٦	غزوة حمراء الأسد	١	-	سنة ٣هـ	
٧	بعث الرجيع	-	٧	سنة ٣هـ	
٨	بعث بئر معونة	-	٢٧	سنة ٣هـ	
٩	غزوة الخندق	٣	٦	سنة ٥هـ	
١٠	غزوة بنى قريظة	٦٠٠	-	سنة ٥هـ	هؤلا قتلوا بالتحكيم جزاء الخيانة، فلا يحبس عددهم فى ضحايا القتال . .
١١	بعث عبد الله بن عتيك	١	-	سنة ٥هـ	
١٢	غزوة ذى قرد	١	٢	سنة ٦هـ	
١٣	غزوة بنى المصطلق	-	١	سنة ٦هـ	
١٤	غزوة خيبر	٢	٢٠	سنة ٧هـ	
١٥	غزوة وادى القرى	-	١	سنة ٧هـ	
١٦	غزوة مؤتة	-	١١	سنة ٨هـ	
١٧	فتح مكة	١٧	٣	سنة ٨هـ	
١٨	غزوة حنين	٨٤	٤	سنة ٨هـ	
١٩	غزوة الطائف	-	١٣	سنة ٨هـ	
٢٠	غزوة تبوك	-	-	سنة ٩هـ	
	المجموع	٢٠٣	١٨٣		المجموع الكلى من الجانبين ٣٨٦ (*)

(*) ابن عبد البر [الدرر فى اختصار المغازى والسير] تحقيق: د. شوقى ضيف . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م.

فأين هذا السيف الذى يتحدث عنه بابا القاتيكان . . ويقول إنه العمل السيئ والشرير واللاإنسانى الذى جاء به رسول الإسلام ﷺ؟! . . وجعله أداة لنشر الإسلام!! . .

● ومع كل هذه الحقائق التاريخية . . وشهادات غير المسلمين من أعلام الشرق والغرب - تاريخياً . . وحتى عصرنا الراهن - على الانتشار السلمى للإسلام . . وبسبب عقلانيته الفريدة والتميزة . . فهلا سأل بابا القاتيكان نفسه - وهو الخائف من انتشار الإسلام فى عقرداره الأوروبية . . والخائف من تحول أوروبا إلى جزء من دارالإسلام - فى هذا القرن الواحد والعشرين - . .

هلا سأل الرجل نفسه عن «السيف» الذى يتتشر به الإسلام فى أوروبا هذه الأيام؟! . .

إن سيوف العالم الإسلامى إما محطمة . . أو يعلوها الصدأ فى الأعماد! . .

وإن سيوف الحضارة المسيحية الغربية مغروسة فى الكثير من رقاب المسلمين! . .

وإن أرض الإسلام تنتشر فيها عشرات القواعد العسكرية الغربية! . .

وإن البحار والمحيطات الإسلامية تحتلها الأساطيل الحربية الغربية! . .

ومع كل هذه الغيبة لسيوف الإسلام . . وكل هذا الطغيان لسيوف الغرب حتى على

أرض الإسلام . . تفتح القلوب والعقول - فى عقردار البابا - أمام الإسلام! . .

هكذا يصنع الإسلام اليوم . . وهكذا كان صنيعه فى التاريخ . . وهكذا سيصنع غدا

- بإذن الله - يا عظيم القاتيكان! .

الخلط بين الجهاد.. وبين الحرب المقدسة

أما الفرية الثالثة - التى افترها عظيم القاتيكان على الإسلام وحضارته وتاريخه - فهى خلطه بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة»، التى عرفتها ومارسها المسيحية الغربية ضد العالم الإسلامى . . حملات صليبية دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م] . . والتى اشتهر منها ما يقرب من ثلاثين حملة ، مثلت أولى الحروب العالمية الأوروبية ، التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية ، وسخرت فيها فرسان الإقطاع الأوروبيين ، ومولتها المدن التجارية الأوروبية . . لاحتلال الشرق . . وإعادة اختطافه من التحرير الإسلامى . . ونهب ثرواته ، وإقامة الكيانات الاستعمارية الاستيطانية على أراضيه . .

كما مارست الكنيسة الكاثوليكية هذه «الحرب الدينية المقدسة» ضد البروتستانت [١٥٦٢ - ١٦٢٩ م] .

- وفيها اشتهرت إحدى عشرة حربا . . وأبيد فيها - كما أشرنا - ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا - أى عشرة ملايين . . وفق إحصاء «فولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨ م] . .

كما مارست هذه المسيحية الغربية - كاثوليكية . . وپروتستانتية - هذه «الحرب الدينية المقدسة» بواسطة «محاكم التفتيش» ضد المخالفين والمفكرين والفلاسفة والعلماء . . فأبادت فيها الملايين بالخنق والإحراق والإغراق والإعدام شنقًا أو على «الخازوق المقدس» طوال ثلاثة قرون!!! . .

يخلط عظيم القاتيكان بين الجهاد الإسلامى وبين هذه الحرب الدينية المقدسة ، التى جعلت سفك دماء المخالفين من أعظم القربات التى يتقرب بها أساقفتهم ورهبانهم

وفرسانهم إلى الرب، ويكفرون بها عن الذنوب والآثام! .. ويمتلكون بها «المفاتيح
البطرسية» لجنات النعيم!! ..

وانطلاقاً من هذا الخلط للأوراق، يدعى عظيم القساوسة أن الإيمان الدينى
الإسلامى هو الذى يؤسس للعنف والإرهاب ..

ولقد كان حرياً بمن يتولى هذا المنصب الأعظم فى كبرى الكنائس المسيحية ..
والذى يدعى دراسة الفلسفة وتدريسها .. ويتحدث عن عقلانيته وعقلانية إيمانه ..
كان حرياً به أن يعلم الحقائق البسيطة .. والمعروفة .. والصلبة، التى تنفى هذا الخلط
للأوراق .. تلك الحقائق التى تقول:

إن هناك تمييزاً - فى الإسلام .. والقرآن .. واللغة العربية - بين: الجهاد ..
والقتال .. والإرهاب ..

١ - فالجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الجهد فى أى ميدان من ميادين الخير والبر
والصلاح والإصلاح .. فالرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد جهاد .. وبر
الوالدين جهاد .. ومقاومة النفس الأمارة بالسوء جهاد .. ومقاومة وساوس الشيطان
جهاد .. وعمران الأرض وتزيينها جهاد .. وطلب العلم جهاد .. والزهد فيما فى
أيدى الآخرين والاستغناء عنه جهاد .. والإحسان فى العمل .. وإلى الجيران - بصرف
النظر عن دياناتهم - جهاد .. والحج والعمرة جهاد .. وحسن العشرة الزوجية جهاد ..
والإخلاص فى تربية الأبناء جهاد .. وإخلاص العبودية لله جهاد ..

ولذلك، فإن الجهاد - بهذا المعنى الإسلامى العام والواسع - هو فرض عين على
المؤمن بالإسلام، يؤديه وفق الوسع والطاقة فى أى ميدان من هذه الميادين، التى تشمل
كل ميادين البر والخير والصلاح والإصلاح فى هذه الحياة .. ولهذا الحقيقة كانت المرة
الوحيدة التى وصف فيها الجهاد بالكبير فى القرآن، تشير إلى الجهاد بالقرآن الكريم ..
وليس بالسيف والقتال: ﴿ فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾
[الفرقان: ٥٢].

٢ - أما القتال - الذى هو شعبة واحدة من شعب الجهاد العديدة - فهو تقديم النفس
والمال فى القتال الدفاعى ضد الذين يعتدون على المسلمين، فيفتنونهم فى دينهم، أو

يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ [الممتحنة: ٦ - ٩].

هذا هو حجم «القتال في الإيمان الإسلامي، بالنسبة إلى عموم فريضة الجهاد.. ولهذه الحقيقة كان الجهاد - في الإسلام - فريضة دائمة وجامعة، على كل المكلفين.. وكان القتال استثناءً مكروهاً مفروضاً من المعتدين على الإسلام والمسلمين» ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وكان فرض كفاية، وليس فرضاً على الجميع.

ولهذه الحقيقة ذاتها - حقيقة الانحياز الإسلامي للسلام - كان الحجم المحدود لضحايا كل غزوات رسول الله ﷺ على امتداد سنواتها التسع - كما أسلفنا - ٣٨٦ من الفريقين - المسلمين والمشركين.. (١) حتى أننا يمكننا القول: إن عدد البعث التي أرسلها رسول الله ﷺ لتعليم القرآن والإسلام.. وعدد المساجد والأماكن التي هيأتها الجيوش الإسلامية لأداء الصلوات، هي أكثر بكثير من عدد الضحايا الذين سقطوا في كل هذه الغزوات!!!..

ولقد كان حرياً بالحبر الأعظم للفاتيكاني - أستاذ الفلسفة - أن يعي هذه الحقائق

(١) ابن عبد البر [الدرر في اختصار المغازي، والسير] تحقيق: د. شوقي ضيف - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م. وانظر كتابنا [الإسلام والآخر] ص ٦٥ - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م.

التاريخية . . وله فى بلاد الإسلام وفى بلاد الغرب الكثير من الذين درسوا تاريخ الإسلام وتخصصوا فيه . .

كما كان حربياً به أن يقارن عدد هؤلاء الضحايا - الذين انتصر بهم الإسلام على الشرك الوثنى - بضحايا «الحروب المسيحية» - المقدس منها وغير المقدس - وذلك قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله ، بفرية الانتشار بالسيف . . والخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة . .

كان حربياً بالحبر الأعظم للقائى كان أن يقارن بين رقم ٣٨٦ - ضحايا حروب محمد ﷺ وبين ضحايا حروب كنيسة المقدسة مع البروتستانت - ١٠,٠٠٠,٠٠٠ - (عشرة ملايين) . . يضاف إليها الملايين - التى لا ندرى عددها - لصراعات وحروب محاكم التفتيش . . والملايين التى أبادتها مسيحيتها فى استعمارها لأمريكا - الشمالية والوسطى والجنوبية - وكذلك فى أستراليا ونيوزيلاندا . . مضافاً إليها ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ (أربعين مليوناً) من الزوج الأفارقة ، الذين أسروا واحتفظوا وسلسلوا بالحديد ، وشحنوا فى سفن الحيوانات ، لتقوم على عظامهم ودمائهم ، وأرواحهم رفاهية الحضارة المسيحية الغربية!! . . وذلك فضلاً عن ستين مليوناً هم ضحايا الحربين العالميتين اللتين شهدهما النصف الأول من القرن العشرين - الأولى [١٩١٤ - ١٩١٨م] . . والثانية [١٩٣٩ - ١٩٤٥م] . . وكذلك الحروب التى لا تزال تشنها مؤسسات الهيمنة الغربية . وتباركها - أو تصمت إزاءها الكنائس الغربية - على امتداد عالم الإسلام . . التى تستخدم فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً . . من اليورانيوم المنضب . . إلى الفسفور الأبيض . . إلى القنابل العنقودية . . إلى ما لا يعلمه إلا الله من ثمرات «العبرية - الشيطانية» للفلسفة الغربية التى تخصص فيها عظيم القاتى كان! . .

• ثم . . ألم يقرأ عظيم القاتى كان - وهو ألمانى - ما كتبه العاملة الألمانية الدكتورة «سيجرىد هونكة» فى التمييز بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة» فى المسيحية . . والذى قالت فيه :

«إن الجهاد الإسلامى ليس هو ما نطلق عليه - ببساطة - مصطلح الحرب المقدسة .

فالجهاد - كما يذكر الألمانى المسلم أحمد شميدة - «هو كل سعى مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام فى أنفسنا، حتى نتمكن فى هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومى المتجدد أبداً ضد القوى الأمارة بالسوء فى أنفسنا وفى البيئته المحيطة بنا عالمياً. فالجهاد هو المنبع الذى لا ينقص، والذى ينهل منه المسلم مستمداً الطاقة التى تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعاً لإرادة الله عن وعى و يقين. إن الجهاد هو بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التى تقف فى وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعى إسلامى فى ديار الإسلام» . . .

واليوم، وبعد انصرام ألف ومائتى عام، لا يزال الغرب النصرانى متمسكاً بالحكايات المختلقة الخرافية، التى كانت الجدات يرونها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام «بالنار وبحد السيف البتار» من الهند إلى المحيط الأطلنطى. ويلج الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وفى الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفى رأى العام، بل فى أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: تلك هى كلمة القرآن الملزمة - كما ترد فى الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة. . فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامى، وإنما بسط سلطان الله فى أرضه، فكان للنصرانى أن يظل نصرانياً، ولليهودى أن يظل يهودياً، كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيع لأحد أن يفعل ذلك. . ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضرراً بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، ويبيعهم وصوامعهم وكنائسهم. .

لقد كان أتباع الملل الأخرى - وبطبيعة الحال من النصارى واليهود - هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا فى ذلك شغفا وافتتانا، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثياباً عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربى، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة فى أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربى، والسمو والبروءة والجمال. . وباختصار: السحر الأصيل الذى تتميز به الحضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربى والتسامح وسماحة النفس - كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.

إن سحر أسلوب المعيشة العربى ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت
قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسى «فولشير الشارتى»:

«وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقين»!

ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب
بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة فى الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكراً:

«أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا، وبدل الغرب

إلى الشرق»؟! ..

بهذا انتشر الإسلام . . وليس بالسيف . . أو الإكراه . .^(١)

هلا قرأ عظيم القاتيكان - وهو ألمانى - هذا الذى كتبه عالمة الألمانية الدكتورة
سيجرىد هونكة . . وتعلم الفارق الجوهرى بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب
الدينية المسيحية المقدسة»؟! . . وذلك بدلاً من أن يردد - فى القرن الواحد والعشرين -
«حكايات الجدات الخرافية» عن انتشار الإسلام - من الهند إلى المحيط الأطلنطى «بالنار
وبحد السيف البتار»! ..

● وإذا كان عظيم القاتيكان لا يزال بحاجة إلى شهادة أوروبية تعلمه الفروق بين
الحرب الدينية المسيحية المقدسة - حرب الإكراه على تغيير العقيدة . . والتقرب إلى الله
بسفك دماء المخالفين - وبين الجهاد الإسلامى . . فإننا نقدم إليه شهادة المؤرخ الأوروبى
«ميشائيل درسيرر» - التى أوردتها عالمة الألمانية سيجرىد هونكة . . وهى تتحدث عن
ممارسة بطارقة الكنيسة الكاثوليكية هذه الحرب المقدسة إبان حروبهم الصليبية ضد
المسلمين . . وفى مدينة القدس تحديداً . . فقالت:

«لقد أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية «برنارد كليرفوكس» أمره إلى المحاربين

الصليبيين: «إما التنصير وإما الإبادة»!

ووصف المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» مذبحة المسلمين فى القدس سنة
١٠٩٩م على يد الصليبيين، وكيف كان البطريرك نفسه يعدو فى زقاق بيت المقدس،
وسيفه يقطر دما، حاصداً به كل من وجدته فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة

(١) سيجرىد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٤٠ - ٤٣ .

القيامة وقبر المسيح فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء اللاصقة بها، مردداً كلمات المزمور التالي: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقاً إن للصديق مكافأة، وإن في الأرض إليها يقضى» [المزمور ٥٨: ١٠ - ١١]. ثم أخذ البطريك في أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب!!^(١).

تلك هي الحرب الدينية المقدسة، التي مارستها الكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام والمسلمين. . . والتي كان بطاركة هذه الكنيسة يتقربون - فيها - إلى ربهم بسفك دماء المسلمين. . .

والتي خلط بينها وبين الجهاد الإسلامي بابا الفاتيكان!

٣- أما الإرهاب - الذي يعنى: استخدام العنف لترويع الأبرياء والأمينين والمسلمين، وذلك لتحقيق أهداف سياسية - فإنه مجرمٌ ومحرمٌ في الإسلام. . . بينما هو صناعة غريبة، مارسته وتمارسه الدول والحكومات. . . وليس فقط الأفراد. . .

● لقد حرم الإسلام ترويع الأمينين، واستخدام العنف ضدهم، وذلك عندما وضع دستوراً أخلاقياً حتى للحرب الدفاعية المشروعة. . . حرم قتل المسالمين الذين ليسوا طرفاً في العدوان والقتال. . . وجاء في سنة رسول الإسلام ﷺ أنه «نهى عن قتل النساء والولدان» - رواه مالك في [الوطأ] - . . .

كما صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق - كما أسلفنا - هذه القيم الإسلامية في دستور للفروسية الإسلامية، وذلك عندما لُوصى قائد جيشه «يزيد بن أبي سفيان» [١٨ هـ / ٦٣٩ م] بالرفق، ليس فقط بالأمينين والمسالمين والأبرياء. . . وإنما أوصاه - أيضاً - بالرفق بالحيوان. . . والنبات. . . فقال له:

«إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له. . . وإنى موصيك بعشر: (ذكرت الوصايا في صفحة ٧٤ ونذكرها هنا مرة ثانية).

(١) المرجع السابق: ص ٢٠ - ٣٤

- ١- لا تقتلن امرأة . .
- ٢- ولا صبياً . .
- ٣- ولا كبيراً هزماً . .
- ٤- ولا تقطعن شجراً مثمراً . .
- ٥- ولا تخربن عامراً . .
- ٦- ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لماكلة . .
- ٧- ولا تحرقن نخلاً . .
- ٨- ولا تفرقنه . .
- ٩- ولا تغلل . .
- ١٠- ولا تجبن . .» - رواه مالك في [الموطأ] . .

فأين هو هذا الإرهاب الإسلامي، المؤسس على الإيمان الديني، الذي زعمه وافتراه - على الإسلام والمسلمين - الحبر الأعظم للثانيكان؟!

● لقد وصف الرجل دفاع المقاومة اللبنانية ضد العدوان الصهيوني على لبنان - في يوليو - أغسطس سنة ٢٠٠٦م - بأنه «إرهاب»!! . . وذلك عندما أدان «الإرهاب» و«الانتقام» . . فاعتبر دفاع الضحية إرهاباً . . وعدوان المعتدى - الذي استخدمت فيه الأسلحة المحرمة دولياً: اليورانيوم المنضب . . والقنابل العنقودية - مجرد انتقام من الإرهاب!! . .

● ولقد مضى على تولى البابا بنديكتوس السادس عشر منصبه في أكبر كنائس النصرانية أكثر من عام . . وهو يصمت صمت القبور على الإرهاب الغربي الذي ينطلق من الأساطير «الأصولية - المسيحية - الصهيونية» لإبادة مئات الآلاف من المسلمين في العراق . . وفلسطين . . وأفغانستان . . والشيشان . . وكشمير . . والصومال . . والسودان . . والفيليبين . . وبورما . . إلخ . . إلخ . . وهو إرهاب وإبادة تمارسهما دول عظمى وكبرى، تحركها الأيديولوجية الصليبية وجماعات اليمين الديني المسيحي .

● كما صمت ويصمت - عظيم الشاتيكان - على الإرهاب الغربى الإمبريالى - المدعوم مسيحيا - والذى يغطى أرض كثير من بقاع العالم الإسلامى بالقواعد العسكرية، وأسلحة الدمار الفتاكة . . كما يغطى البحار والمحيطات الإسلامية بالبوارج والأساطيل وحاملات الطائرات! . .

فأين موقف عظيم الشاتيكان من هذا الإرهاب؟! . . أم أن له عنده اسما آخر غير الإرهاب؟! . .

● وإذا كانت قدرات الرجل الفكرية قد جعلته يغوص ويعود إلى ما قبل أربعة عشر قرنا، ليفترى على الإيمان الإسلامى فرية تأسيسه للعنف والإرهاب . . فأين ذهب ذكاؤه، وأين ذهبت ثقافته من «عصر الإرهاب» الذى تفتخر به الثورة الفرنسية - التى قامت فى فرنسا الكاثوليكية - رعية عظيم الشاتيكان - والذى يدرّس فى كل مدارس الدنيا، كإنجاز من إنجازات الحضارة الغربية! . . وذلك دونما إشارة إلى «إرهاب الدولة»، الذى ابتدعه الغرب، ولا يزال يمارسه ضد الآخرين حتى هذه اللحظات! . .

- ٦ -

الافتراء على القرآن الكريم

ثم . . هل يليق بمن هو فى مكانة الحبر الأعظم للقاتيكان أن يفترى على القرآن الكريم ، فيصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام»!!؟

يصنع ذلك مع القرآن الذى جاء مصدقاً لما سبقه من كل الكتب السماوية . .

والذى جاء مؤمناً بكل النبوات والرسالات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة:

٢٨٥]. . . والذى تحدث عن توراة موسى فقال إن فيها هدى ونورا . .

وعن إنجيل عيسى فقال إن فيه هدى ونورا . .

والذى جعل مريم سيدة نساء العالمين . . وآية من آيات الله . .

وتحدث عن المسيح ﷺ باعتباره آية من آيات الله . . ﷺ يوم ولد ويوم يموت

ويوم يبعث حياً . .

والذى اعترف بكل شرائع أهل الكتاب . . ودعاهم إلى كلمة سواء : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٦٤].

ولم يحتكر - هذا القرآن الكريم - النجاة لأهل شريعة دون من سواهم . . وإنما فتح

أبوابها لأهل التوحيد الخالص . . والإيمان بالغيب . . والعمل الصالح . وفق آية

شريعة سماوية صحيحة أتى بها واحد من رسل الله - عليهم السلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] . . ذلك أن الله - الذى أوحى هذا القرآن - ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

فهل يليق بمنصف - مهما كان دينه أو كانت ثقافته - ينظر إلى القرآن نظرة موضوعية محايدة - أن يصف هذا القرآن بأنه «تعليمات أوامر اللئام»؟! . . كما صنع عظيم الفاشيكان؟! .

* وإذا كان الحبر الأعظم للكاثوليكية - بنديكتوس السادس عشر - قد جهل التراث الشرقى والعربى والإسلامى الذى شهد للإعجاز القرآنى، وأعلن أنه كلمة الله التى أعجزت - ولا تزال تعجز - البشر قاطبة عن أن يأتوا بشيء من مثله . . هذا التراث الذى حفظ التاريخ منه كلمات أئمة الفصاحة والبلاغة وأساطين صناعة البيان . . من مثل:

- «أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (٩٥ ق هـ - ١ هـ/ ٥٣٠ - ٦٢٢ م] . . وهو من زعماء قريش . . وزنادقتها . . ومن قضاة العرب فى الجاهلية . . والملقب «بالعدل» لأنه كان عدل قريش كلها . . والذى شهد للقرآن الكريم - رغم شركه - عندما سمع رسول الله ﷺ يتلو - فى المسجد - سورة غافر، فقال:

«والله لقد سمعت من محمد كلاماً أنفا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن .
والله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهان فما هو بزمنة (١) الكاهن ولا سجعه .
والله ما هو بمجنون . فقد رأينا الجنون وعرفناه . فما هو بخنقه (٢) ولا تخالجه (٣)
ولا وسوسته .

(١) الزمنة: الصوت يسمع من بعيد، وله دوى .

(٢) صوت المخنوق .

(٣) الاضطراب والتمايل .

ووالله ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر كله، رجزه^(١) وهزجه^(٢) وقريضه^(٣) ومقبوضه^(٤) ومبسوطه^(٥)، فما هو بشاعر.

ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفته^(٦) ولا عقده^(٧).

والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق^(٨)، وإن فرعه لمثمر. وإنه يعلو ولا يُعلَى عليه.

وما أنتم - [يا معشر قريش] بقائلين - [فيه] - من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل^(٩).

- وشهادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - أبو وليد (٢ هـ / ٦٢٤ م) - وهو من سادة الشرك في قريش ومكة - شهادته للقرآن عندما سمعه من رسول الله ﷺ فقال:

«لقد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. . والله ليكونن لهذا الذي سمعت نبأ عظيم^(١٠)».

- وشهادة الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] - وهو أحد أبرز البلغاء في القرن العشرين. . والذين جمعوا ثقافة الغرب إلى ثقافة الشرق. . شهادته على تفرد القرآن وعلوه على الإبداع البشري. . عندما قال:

«لقد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب:

(١) بحر من بحور الشعر العربي، وزنه «مستعلن» ست مرات.

(٢) بحر من بحور الشعر العربي، وزنه «مفاعِلن» أربع مرات.

(٣) الشعر؛ لأنه اقتطاع من الكلام.

(٤) ما حذف منه الخامس الساكن من الجزء - مثل حذف النون من «فعولن»، فتصبح «فعول».

(٥) بحر من بحور الشعر، وزنه «مستعلن فاعلن مستعلن فعِلن».

(٦) النفت من معانيه: السحر - والمنفوث هو المسحور.

(٧) العقده يعقدها الساحر.

(٨) المغدق: المخضب.

(٩) محمد بن يوسف الصالحى الشامى [سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد] ج٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. طبعة القاهرة سنة ١٤١٨ هـ / سنة ١٩٩٧ م.

(١٠) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى [مختصر سيرة ابن هشام] ج١ ص ١٨٧. طبعة القاهرة سنة ١٤٢٢ هـ / سنة ٢٠٠٢ م.

إن القرآن ليس شعرا ولا نثرا، وإنما هو قرآن، له مذهب وأساليبه الخاصة فى التعبير والتصوير والأداء.

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع. وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر.

ومن أجل هذا خُذع المشركون من قريش، فقالوا: إنه شعر. وكذبوا فى ذلك تكذيبا شديدا.

ومن أجل هذا خُذع كذلك بعض المتبعين لتاريخ النثر فظنوا أنه أول النثر العربى، وتكذبهم الحقائق الواقعة تكذيبا شديدا.

فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين - وقد حاول بعضهم ذلك - أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية^(١).

هكذا شهد أساطين البلاغة والفصاحة والبيان للقرآن بالإعجاز . . وعلى مر التاريخ . .

* وإذا جاز لعظيم الفاتيكان أن يجهل هذه الشهادات الشرقية للقرآن الكريم بالتفرد والإعجاز . . أو أن يتجاهل الإعجاز الأكبر والأخلد للقرآن: إعجاز صناعة الإنسان السوى والمجتمع السوى عبر الزمان والمكان - فضلا عن الإعجاز بالإنباء بالغيب . . والإشارات للإعجاز العلمى . . إلخ . . إلخ . . فهل يجوز لمثل عظيم الفاتيكان أن يجهل ما كتبه علماء غربيون، بلغات غريبة عن هذا القرآن الكريم؟!

وهلا قرأ - قبل أن يصف القرآن بهذا الوصف الغريب والعجيب والمريب - ما كتبه عملاق الثقافة الإنجليزية الدكتور مونتجمرى وات - بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن - توّجها بحديثه عن القرآن، الذى قال فيه :

«إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من

(١) د. طه حسين [الفتنة الكبرى - عثمان] ص ٣٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤ م.

«رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين . .

إننى أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعانى، صادر عن الله، وبالتالي فهو وحى . .

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه، عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه . . وربما كانت الملامح الأساسية للوحى يمكن اختصارها فى العناصر الثلاثة الآتية:

١- أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى .

٢- وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك .

٣- وأن يقينا جازما كان يمتلك فؤاده أن هذه الكلمات هى من عند الله .

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضرا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآنى الذى بين أيدينا . وكان محمد واعيا تماما أنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله . وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد . . إنه لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية .

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحيا، وعن الأفكار الشبيهة .

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التى أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى؛ لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله . وليس من قبيل الصدفة أيضا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة الإلهية، وتعنى أيضا فقرة من الوحى . .

وإذا لم يكن محمد هو الذى رتب القرآن بناء على وحى نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور «زيد بن ثابت» [١١ ق. هـ - ٤٥ هـ / ٦١١ - ٦٦٥ م] أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل . . ومن هنا فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد ﷺ نفسه . . والقرآن كان يُسَجَّل فور نزوله . .

ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيا منها لم تؤد إلى جنوح معانى القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعانى المفهومة من القراءات الأخرى . .

إن القرآن يحظى بقبول واسع، بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية . .

وإذا كان القرآن كلام الله وحده، ورسالته إلى محمد، فإن الكثيرين من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله - [فى العهدين القديم والجديد] - قد جلبها مصدر خارجي ممثل فى ملكك أو ملائكة يملونها على كُتّاب الأناجيل، وإنما يُلقَى فى روع هؤلاء الكُتّاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا، والأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد «هكذا يقول الرب . .» .

ولذا فلا بد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقا . .

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التى ألقاها الله إليهم عن طريق محمد، تماما كما فعل ورقة بن نوفل (١٢ق . هـ / ٦١١م) الذى أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد . .

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية - وبصورتها الموجودة على أيامه - قول صحيح . .»^(١)

تلك شهادة غريبة للقرآن الكريم . . كتبها عَلم من أعلام الثقافة الغربية . . بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن - ومثلها كثير فى دراسات العلماء الغربيين المنصفين للإسلام . . فلماذا غابت مثل هذه الشهادات عن ثقافة «أستاذ الفلسفة» وعظيم الثائكان الذى تجاوز كل حدود المعقول والمقبول عند وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللثام»!!

* * *

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص ٣٥، ٣٦، ٨٣، ١٠٦، ٣٩، ١٧٠، ٢٠٦، ٥٢، ٥٤، ٧١، ٢٣، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٣١ - ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

* إنه من الحق - بل ومن الواجب - أن يتساءل المرء عن الحد الأدنى من الموضوعية في هذا الذي افتراه بابا الفاتيكان! .. وأن يبحث عن قيم العدل والإنصاف التي اتفقت عليها جميع البيانات إزاء هذه الافتراءات التي افتراها الحبر الأعظم للفاتيكان على:

- رب العالمين - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . .

- وعلى رسول الإسلام، الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] . . والذي بعثه ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . . ونوراً وبشيراً للعالمين . .

- وعلى الإيمان الإسلامي . . الذي بلغ الذروة في التوحيد . . والتنزيه . . والتجريد . . وعلى فكر المسلمين . . وحضارتهم . . التي أنارت الدنيا . . وعلمت البشرية . . ومثلت العالم الأول على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون . .

أين الحقيقة من هذا الذي زعمه وافتراه عظيم الفاتيكان؟ . .

* أم أن «الغرض: مرض» قد أصبح يعيى حكماء الفكر ونطاسى الأطباء؟! . .

* أو أن «الكذب» قد أصبح «صناعة» كبرى وثقيلة تدر على «الكذبة» مليارات السُّحْتِ الذي به يرتزقون؟! . . وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] . .

* * *

* وإذا كان هذا هو حكم بابا الفاتيكان على القرآن الكريم - كتاب الله المحفوظ . . والنص المؤسس للأمة الإسلامية وثقافتها وحضارتها . . فإن من حقنا أن نسأل بابا الفاتيكان، والحبر الأعظم للكاثوليكية، وأستاذ الفلسفة، عن رأيه في العهد القديم - الذي يقده . . ويتعبد بتلاوته - رغم ما قاله فيه علماء اليهود، من أن أغلب أسفاره لا علاقة لها بالوحي الإلهي ولا بموسى ﷺ وبنص عبارة هؤلاء العلماء اليهود:

«فإن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن . . فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف . .

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء . . . وموسى لم يكتب التوراة كلها . . . وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة . . . ففيها ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى:

- ١ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (فى سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرام .
 - ٢ - ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق .
 - ٣ - ولفائف أعداد الأسباط .
 - ٤ - ولفائف باعترافات الأنبياء .
 - ٥ - ومجموعات من روايات بيت داود .
 - ٦ - وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل .
 - ٧ - وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي .
 - ٨ - وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين . . . [أى القرن الثانى قبل الميلاد].
- . . . إن سفر التكوين قد أُلّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزم طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا - [أى حوالى ٧٣٤ - ٦٨٠ ق. م].
- أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة . . . وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة، بين أنشودة موسى - الموجودة فى سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد - هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام قواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها، وفى كل الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما .

كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه . .»^(١) .

نعم . . هذه شهادة العلماء اليهود، الخبراء في نقد النصوص الدينية . . تقول - يا عظيم الثاتيكان - إنك تتعبد بكتاب لا علاقة له بالوحي ولا بالقداسة، وإن علاقته بوسى أوهى من خيوط العنكبوت . . ومع ذلك فأنت تتهجم على القرآن الكريم!

* وإذا شئت - يا عظيم الثاتيكان - شهادة خبير آخر، وعالم في تحليل التوراة، على ما فيها من تناقضات تنفى عنها الوحي والقداسة . . فإليك شهادة العالم البارز الدكتور فؤاد حسنين على . . أستاذ العبرية والتراث اليهودى بجامعة القاهرة - فى كتابه [التوراة: عرض وتحليل] - والتي يقول فيها:

«إنه لا يوجد فى التوراة التى بين أيدينا خير يُشتم منه أن موسى هو الذى جاء بها أو نزلت عليه، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا، ومن هذه الأدلة مثلا:

ما جاء فى الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى، فبعيد كل البعد كله أن يكون هذا الخبر صادرا عنه، فقد ورد فى هذه الآية:

«لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا» . .

وفى الآية العاشرة من الإصحاح نفسه جاء «ولم يقم بعد نبي فى إسرائيل مثل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»!

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنا بعيدا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التى بأيدينا .

ومن الأدلة الأخرى على ذلك، الاختلافات والتناقضات فى النص، كاستعمال (يهوه) و(الوهيم)، وبعض الألفاظ الأخرى التى نعلم أن معانيها تختلف أحيانا حسب

(١) [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ج١ . ص ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ١٩٦ . وهو مجموعة من الدراسات النقدية كتبها عدد من العلماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص الدينية . جمعها وحررها العالم اليهودى زلمان شازار - ترجمة: د . أحمد محمد هويدى . تقديم ومراجعة: د . محمد خليفة حسن . طبعة القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠ م .

البيئة وحسب الزمن . . . والتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد في عصر واحد» :

فقصة الخلق مثلا جاءت في سفر التكوين - الإصحاح الأول : ٢٧ - وفيها : كان الإنسان آخر الخلق ، وعرض للقصة نفسها في السفر نفسه - الإصحاح الثاني : ٤ - ٢٥ - فكان الإنسان هو الأول ، وبعده جاءت الأشجار ، فحيوانات الحقول ، وطيور السماء . . الأمر الذي يجعل التوراة . . كما هي الآن وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة .

وقد استغلت في سبيل وضعها مصادر عديدة ، بعضها ذكر كما هو وبعضها حذف منه أو أضيف إليه . . ومن أدلة تعدد هذه المصادر الاضطرابات الموجودة في بعض القصص ، مثلا قصة الطوفان : فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام ٤٠ يوما و ٤٠ ليلة ، بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع في السفر نفسه أنه دام ١٥٠ يوما .

ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية بينها وبين النسخة الأصلية التي كتبت عنها مدة تقرب من ألف عام ، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شيء كثير من التغيير والتبديل . . «^(١) .

تلك هي شهادات العلماء الخبراء - من اليهود وغيرهم - في الكتاب الذي تقدسه وتتعبد به يا عظيم القاتيكان . .

* ويا ليتك - أيها الحبر الأعظم - قد امتلكت شجاعة البابا شنودة الثالث - بابا الإسكندرية والكرامة المرقسية - أعرق وأكبر الكنائس الشرقية - الذي لم يتحرج من الاعتراف - والإعلان - عن أن هذا العهد القديم - المتداول في كل كنائس العالم - قد حذفت منه الأسفار القانونية - أسفار بصيغة الجمع . . وليس سفرا واحدا - !! . .

فلقد نشرت صحيفة [وطني] - المسيحية - في عددها الصادر يوم الأحد ١٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . أن البابا شنودة قد سئل في محاضراته الأسبوعية - يوم الأربعاء ١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس ، وهل بذلك يكون محرفا؟

(١) د . فؤاد حسنين على : [التوراة عرض وتحليل] ص ١١ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ - ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦م .

فاعترف البابا شنودة بأن «هناك بعض الأسفار القانونية . . غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا، وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة»^(١)!!

يا ليتك - يا عظيم القاتيكان - قبل التهجم على القرآن الكريم - المعجز والمحفوظ حفظاً متفرداً - قد امتلكت شجاعة البابا شنودة في الحديث عن كتابك المقدس - [العهد القديم].

* ثم . . ألم يكن الأجدرك - يا عظيم القاتيكان - بدلاً من التهجم على القرآن الكريم . . والافتراء على آياته إلى حد وصفها بأنها: «تعليمات أوامر اللثام» - أن تشغل نفسك بالدفاع عن كتابك المقدس [العهد الجديد] . . لا أقول ضد الكتابات الإسلامية . . وإنما في مواجهة الكتابات الغربية التي ساقته ضده عشرات الأدلة التي تنفي موثوقيته ومن ثم قداسته؟! . .

إن مصدراً غربياً واحداً - هو دائرة المعارف البريطانية - تقول عن:

(أ) إنجيل متى: «إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد» [٦ - ٦٩٧].

(ب) وإنجيل مرقس: «في أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموماً إضافات متأخرة، والأعداد الأخيرة - ١٦ - ٩ - ٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء» [المجلد الثاني ص ٩٥١، ٩٥٣].

(ج) وإنجيل لوقا: «إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً» [المجلد الثاني ص ٩٥٤].

(د) وإنجيل يوحنا: - وهو الوحيد الذي انفرد بالحديث عن ألوهية المسيح . . يتعارض مع الأناجيل الأخرى في كثير من الوقائع الهامة . . حتى ليقول الأسقف «بابياس» المتوفى سنة ١٣٠م - بوجود أكثر من يوحنا . . وإن هذا الإنجيل قد كتب بواسطة حوارى مجهول الاسم [المجلد الثاني ص ٩٥٥].

(١) صحيفة [وطني] «الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف» عدد ٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م - القاهرة. وانظر - في ملاحق هذا الكتاب - صورة تصريح البابا شنودة، كما نشرتها صحيفة [وطني].

كما تقول دائرة المعارف البريطانية : «إن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التى كتبت بأيدى مؤلفيها الأصليين قد اختفت . وإن هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته حاليا . . وإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات فى النصوص . . وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتى تغطيه تقريبا، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفا من الاختلافات بين النصوص» [المجلد الثانى ص ٩٤١].

وإذا كانت هذه مجرد إشارة واحدة إلى نموذج واحد من نماذج المصادر الغربية التى عرضت لمدى الثقة والموثوقية فى كتابك المقدس - يا عظيم القاتيكان . . أفما كان الأجدر بك - كما هو شأن العقلاء - أن تهتم ببيتك . . وأن تقدم لرعيك ما يبعث على الطمأنينة إزاء كتابهم، بدلا من هذا التهجم - غير اللائق - على القرآن الكريم؟! . .
أم أننا أمام المثل العربى الشهير - «رمتنى بدائها وانسلت» - يا عظيم القاتيكان!؟

* * *

* وإذا كان بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - قد وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللثام» . . فهل لنا أن نسأله عن رأيه - كأستاذ للفلسفة - فيما جاء بأسفار العهد القديم - التى يقدها - من فكر دموى وعنصرى، قد نسبوه إلى الله - تعالى عن ذلك - يأمر فيه بنى إسرائيل بإبادة كل شىء لدى الآخرين - البشر والشجر . . والحيوانات . . هذه النصوص التى منها:

- «فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارا فى الكتاب، وضعه فى مسامع يشوع: فإننى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» [سفر الخروج، إصحاح ١٧ - ١٤].

- «إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها، قولا . . فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها . . [أى تدمرها وتبيدها] بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار،

المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد لا تُبنى بعد. . لكى يرجع الرب عن حُمُو غضبه ويعطيك رحمة» [سفر التثنية، إصحاح ١٣ : ١٢، ١٥-١٧].

- «وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا: كلّم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. . تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها، فىكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم» [سفر العدد، إصحاح ٣٣: ٥٠-٥٣، ٥٥، ٥٦].

- «وحين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن. . فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها- [أى تبيدها]-. .» [سفر التثنية، إصحاح ٢٠: ١٠-١٦].

- «سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرمهم- [أى تبيدهم]-. . لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم. . ولا تصاهرهم. . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. . مباركا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقريك ولا فى بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلها على مبغضيك، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عينك عليهم» [سفر التثنية، إصحاح ٧: ١-٣، ٦، ٧، ١٤-١٦].

- «هكذا قال السيد الرب: قل لطائر كل جناح وكل وحوش البحر، اجتمعوا تعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم. ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا الحما وتشربوا دما، تأكلوا اللحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش

وحملان وأعددة وثيران كلها من مسمنات باشان، وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتى التى ذبحتها لكم» [سفر حزقيال، إصحاح ٣٩ : ١٧ - ١٩].

- «اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها؛ لأن للرب سخطا على كل الأمم وحُمواً على جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح، فقتلهم تطرح وجيفهم تصعد ثنائتها، وتسيل الجبال بدمائهم. ويغنى كل جند السموات.. للرب سيف قد امتلأ دما» [سفر إشعيا، إصحاح ٣٤ : ١ - ٦]..

* * *

صدقنى - يا عظيم القاتيكان - إننى عندما أقارن هذا «الفكر الدموى العنصرى اللانسانى» بما جاء به المسيح ﷺ من مثل :
«تحب قريك كنفسك» (رو ١٣ : ٩).

«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى ٥ : ٤٤).
«لا تقاوموا الشر» (متى ٥ : ٣٩).

«لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء» (رو ١٢ : ١٩).
«نُشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعض» (اكو ٤ : ١٢ - ١٣).
«باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا» (رو ١٢ : ١٤).

«غير مجازين عن شر بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكي تراثوا بركة» (ابط ٣ : ٩).
«إن كان ممكنا، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو ١٢ : ١٨).

«إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فأسقه؛ لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، لا يغلبك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢٠ - ٢١).

عندما أقارن الفكر الدموي العنصرى اللاإنسانى، الذى جاء فى العهد القديم، بهذه
السماحة المثالية التى أوصى بها المسيح ﷺ . . ثم انظر لصنيع كنيسة كنيستك - وأضرابها - يا
عظيم القاتيكان - فى إبادة الشعوب فى أمريكا . . وأستراليا . . ونيوزيلاندا . .
وإفريقيا . . ولهذا الذى يصنعه الغرب - بمباركة كنائسه - من النهب الاستعمارى . .
والاستعمار الاستيطانى . . والاستخدام المفرط لكل ألوان الأسلحة - حتى المحرمة
دولياً - ضد المسلمين وغيرهم من الشعوب المستضعفة . . أصل إلى اليقين الذى يقول -
يا عظيم القاتيكان - إنكم وكنائسكم وأقوامكم لا علاقة لكم بالمسيح ﷺ !!

-٧-

وبعد . . .

فإن الافتراء على الإسلام وأمته وحضارته ليس بالأمر الجديد . . فلقد بدأ هذا الافتراء مع ظهور الإسلام . . وامتد على طول تاريخه . . بل إن الإسلام إنما حقق أعظم الانتصارات في ظل تصاعد الافتراءات والتحديات . . وما انتشاره في عقر دار الحضارة المسيحية - حضارة عظيم القاتيكان - مع ضعف حكومات العالم الإسلامي - إلا الشاهد الصادق على هذه الحقيقة من حقائق هذا الدين .

* ولأن الإسلام هو الذي حرر الشرق من القهر الحضارى الرومانى الذى دام عشرة قرون . . والذي مارست فيه كنيسة عظيم القاتيكان الاضطهاد الدينى للنصرانية الشرقية، على النحو الذى ذهب مثلاً فى تاريخ الاضطهادات الدينية . . حتى لتؤرخ كنائس الشرق لعصر شهدائها بسنوات هذا الاضطهاد .

ولأن الفتوحات الإسلامية هى التى حررت أرض الشرق وضمائر شعوبه . . وكذلك الثروات التى مثلت أكبر لقمة فى فم النهب والاستغلال الرومانى الغربى . . لذلك، بدأ عداء الغرب للإسلام منذ ذلك التاريخ . . واستمر حتى هذه اللحظات .

وعن هذه الحقيقة - فى تاريخ مشكلة الغرب مع الشرق - يقول القائد والكاتب الإنجليزى «جلوب باشا» - جنرال جون باجوت - [١٨٩٧ - ١٩٨٦ م]: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»!!

ولهذه الحقيقة أيضاً كان تاريخ مؤسسات الهيمنة الغربية - الدينية . . والسياسية - هو تاريخ العمل الدائب على إعادة اختطاف الشرق من الإسلام .

فبعد القرون العشرة التي طوت الفتوحات الإسلامية صفحاتها السوداء . . عاد الغرب لاختطاف الشرق من التحرير الإسلامي ، فشن عليه الحملات الصليبية التي دامت قرنين من الزمان . . فلما هزمت دول الفروسية الإسلامية هذه الحملات الصليبية ، وأزالت قلاعها وكياناتها الاستيطانية من الشرق . . عاد الغرب بعد إسقاطه غرناطة [سنة ١٤٩٢م] واقتلعه الإسلام من الأندلس إلى شن هذه الغزوة الصليبية الحديثة ، فالتف حول عالم الإسلام . . واقتحم قلبه العربي بغزوة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) سنة ١٧٩٨م . . ثم استولى الغرب على مجمل ديار الإسلام - في هذه الغزوة التي مضى على بدئها أكثر من خمسة قرون . .

أى أننا أمام سبعة عشر قرنا من الغزو الغربى للشرق ، فى تاريخ مكتوب تبلغ قرونة أربعة وعشرين قرنا! . .

* وإذا كانت كنيسة عظيم الفاتيكان قد مارست الافتراء - قديما - على النصرانية الشرقية . . فلقد مارست هذا الافتراء وهذا العدوان على الإسلام عبر ذلك التاريخ الطويل . . ولذلك ، فإننا لسنا مندهشين من هذا الافتراء المعاصر ؛ لأنه امتداد لتاريخ طويل من الافتراءات .

* وإذا كان هناك من درس تجب الإشارة إليه فى هذا المقام الذى نواجه فيه هذا الفصل الجديد من الافتراء على الإسلام . . فهو التنبيه على حقيقة الحلف الذى جمع ويجمع الكنيسة الكاثوليكية الغربية مع المشروع الإمبريالى الغربى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتصاعد الحرب الباردة بين الرأسمالية الغربية والشيوعية فى منتصف القرن العشرين . .

فتحت قيادة الإمبريالية الأمريكية الصاعدة على أنقاض الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية التقليدية والعتيقة ، قررت أمريكا استخدام سلاح الدين - كل دين - ومؤسساته الكبرى فى معركتها - الباردة والساخنة - مع الخصوم . .

- لقد تحالفت مع اليهودية الصهيونية ضد العرب والمسلمين . . وضد الشيوعية . .

- ثم أنشأت «مجلس الكنائس العالمى» أو «مجمع الكنائس المسكونى» سنة ١٩٤٨م . . واستخدمته فى حربها الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكي . .

- ولقد نجحت الإمبريالية الأمريكية في ضم الكنيسة الكاثوليكية في الحرب ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي . . وكان دور بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثاني (١٩٢١ - ٢٠٠٥م) في هذا التحالف الأمريكي - الفاتيكانى ، مؤثرا وملحوظا ومشهورا . .

- كما نجحت الإمبريالية الأمريكية في ضم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى مجلس الكنائس العالمى ، فى ظل بابوية البابا شنودة الثالث . . بعد مقاومة قبطية شهيرة وطويلة .

- ولقد عملت هذه الإمبريالية الأمريكية على توظيف الإسلام فى تحقيق مصالحها الإمبريالية . . فكان حلف بغداد - الحلف المركزى - سنة ١٩٥٥م . . وامتد هذا التوظيف حتى الجهاد الأفغانى ضد السوفيت فى ثمانينيات القرن العشرين .

* وبعد سقوط الشيوعية ، أوائل العقد الأخير من القرن العشرين ، أعلنت الإمبريالية الغربية - تحت زعامة أمريكا - اتخاذ الإسلام عدوا أحلته محل العدو الشيوعى . . وأطلقت عليه «الخطر الأخضر» الذى حل محل «الخطر الأحمر» .

ومنذ ذلك التاريخ ، حولت الإمبريالية الأمريكية كل منظومتها المؤسساتية فى الحرب على الإسلام والمسلمين . . حتى كانت «الفرصة السانحة» عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م ، التى جعلت خطابها الأيديولوجى يعلن - بصريح العبارة - أن حربها على الإسلام هى «حملة صليبية» . . ضد «الأشرار . . ومحور الشر» . . وضد «الفاشية الإسلامية» ! . .

لقد أعلنوا أنهم يريدون إسلاما لا علاقة له بكامل الإسلام . . يريدون إسلاما مثل النصرانية ، يقف بأهله عند الشعائر والطقوس . . ويترك دار الإسلام وثروات المسلمين للقيصر الأمريكى . . لقواعده العسكرية . . وشركاته الاحتكارية العابرة للقارات والجنسيات . .

ولذلك ، أعلن الكاتب الصهيونى الأمريكى «توماس فريدمان» سنة ٢٠٠١م - إبان الغزو الأمريكى لأفغانستان - :

«إن الحرب الحقيقية فى المنطقة الإسلامية هى فى المدارس ؛ ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية بسرعة ، لنعود مسلحين بالكتب ؛ وذلك لتكوين جيل جديد يقبل

سياساتنا كما يحب شطائنا»!^(١) . . أى الحرب الحقيقية هى فى مناهج التعليم الإسلامية، لتفريغها من روح المقاومة والجهاد ضد الغزاة . .
وأعلن المفكر الإستراتيجى الأمريكى «فوكوياما»:

«إن العالم الإسلامى يختلف عن غيره من الحضارات فى وجه واحد مهم، فهو وحده الذى ولّد تكراراً خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض لا السياسيات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحدائنة الغربية: التسامح الدينى . . والعلمانية نفسها . . ولذلك، فإن الصراع الحالى ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب - كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم (١١) - ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية - الفاشية الإسلامية - التى تقف ضد الحدائنة الغربية . . وعلى المجتمع الإسلامى أن يقرر فيما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمى مع الحدائنة الغربية، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسى حول الدولة العلمانية»!^(٢) .

* * *

تلك هى حقيقة المعركة . . وهذه هى مؤسساتها . .

وفى هذا الإطار يجب أن ننظر إلى هذا الفصل الجديد من افتراءات بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - على الإسلام . .

فالقضية ليست محاضرة كال فيها البابا الافتراءات للذات الإلهية . . ولرسول الإسلام ﷺ وللقرآن الكريم - وللجهاد الإسلامى . .

والقضية ليست مجرد اعتذار من الرجل للمسلمين، إذا حدث، كان الهدوء والاسترخاء . . وإنما نحن أمام توظيف إمبريالى غربى - وأمريكى بالأساس - للكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام، كذلك التوظيف الذى تم لها فى الصراع ضد الشيوعية .

لقد نجحت أمريكا فى جر الكنيسة الكاثوليكية الغربية - فى عهد البابا الراحل يوحنا بولص الثانى - فى المعركة ضد الشيوعية . .

(١) صحيفة [وطنى] - القاهرة - فى ٢٥ - ١١ - ٢٠٠١م - وهى تنقل عن «نيويورك تايمز» .

(٢) فوكوياما [نيوزويك] - العدد السنوى - ديسمبر سنة ٢٠٠١م - فبراير سنة ٢٠٠٢م .

واليوم . . وبعد إحلالهم الإسلام عدوا محل الشيوعية، يتم التوظيف للكنيسة الكاثوليكية - تحت قيادة البابا بنديكتوس السادس عشر - في الحرب ضد الإسلام . .

تلك هي الحقيقة التي يجب أن يعيها ويتعامل معها العقل الإسلامي . . فنحن لسنا أمام مجرد «سقطه فكرية» لعظيم الفاتيكان . . ولا حتى أمام «موقف أخرق» - على حد تعبير النيوزويك الأمريكية - في التعامل مع الإسلام . . وإنما - نحن - أمام واحد من التحديات الكثيرة والشرسة والمتوالية التي امتلأ بها تاريخنا الطويل .

وفي مواجهة التحديات الشرسة يظهر المعدن النفيس والصلب لهذه الأمة . . . هكذا علمنا التاريخ ! . .

وفي مواجهة التحديات . . وحتى نواجهها ونتصر عليها، لا بد من «ترتيب أولويات العقل المسلم» . . و«ترتيب أوراق الإمكانات» التي يمتلكها المسلمون . . فإرادة المواجهة والنهوض . . وبيادارة الإمكانات التي تمتلكها، تستجمع الأمة أسباب الصمود . . والنهوض . . والانتصار . .

ولنتذكر - في ختام هذه الدراسة - كلمات صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ) / [١١٣٧ - ١١٩٣ م] التي كتبها إلى الملك الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» [١١٥٧ - ١١٩٩ م] . . والتي قال فيها:

«القدس إرثنا كما هي إرثكم . . من القدس عرج نبينا إلى السماء . . وفي القدس تجتمع الملائكة . . لا نفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة . .

أما بالنسبة إلى الأرض، فإن احتلالكم فيها كان شيئا عرضيا، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء .

ولن يمكنكم الله أن تشيدو حجرا واحدا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد»^(١) .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

(١) صحيفة [الحياة] - لندن - عدد ٢٧ - ١ - ١٩٩٦ .

«عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام» رواه الإمام أحمد.

و«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه الترمذی.

* * *

والسلام على من اتبع الهدى - يا عظيم القاتيكان . . ؟

* * *

ملحق وثائقي

١- نص محاضرة البابا « بنديكت السادس عشر » ..

كما نشرتها صحيفة [وطني] - المسيحية المصرية - في ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٦ م .

٢- صورة تصريح البابا شنودة الثالث حول الأسفار القانونية المحذوفة من

[العهد القديم] .

كما نشرتها صحيفة [وطني] - المسيحية المصرية - في ٥ - ١٠ - ٢٠٠٦ م .

٣- صورة غلاف كتاب بابا الفاتيكان « بنديكت السادس عشر » ..

الذي يتحدث فيه عن مخاوفه من الإسلام . . ومن أن تتحول أوروبا إلى جزء من

دار الإسلام!

ملحق (١)

نص محاضرة البابا بنديكت

التي أثارَت الغضب في العالمين العربي والإسلامي

إنها لتجربة مثيرة بالنسبة لى أن أقف لأحاضر بمدرج هذه الجامعة مجدداً وإننى لأعود إلى تلك السنوات عندما بدأت التدريس فى جامعة «بون» بعد فترة رائعة قضيتها فى «فرايزنجر هو شولة» لقد كان ذلك فى عام ١٩٥٩ أيام كانت هيئة التدريس فى الجامعة القديمة تتألف من أساتذة عاديين ، فأساتذة الكراسى العديدون لم يكن لهم مساعدون ولا سكرتارية : ولكن فى المقابل كان هناك تواصل مباشر أكبر مع الطلاب وبين الأساتذة فيما بينهم ، على الأخص حين كنا نلتقى قبل وبعد الدروس فى حجرات هيئة التدريس ، كما كان هناك تبادل وتواصل مع المؤرخين والفلاسفة وعلماء اللغة ، وطبعاً بين الكليتين اللاهوتيتين ، فبمجرد بدء الفصل الدراسى كانت تعقد حلقات أكاديمية يلتقى فيها أساتذة كل كلية مع طلاب الجامعة كلهم ليجعلوا التجربة الجامعية المتفردة ممكنة ، وهى حقيقة أنه بالرغم من تخصصاتنا التى قد تجعل من تواصلنا معاً أمراً صعباً فى بعض الأحيان ، إلا أننا استطعنا أن نكون وحدة واحدة تعمل على أساس من عقلانية منفردة بنواصيها العديدة فى كل الأمور ، وتشارك مسئولية حق إعمال العقل ؛ حيث أصبحت هذه الحقيقة تجربة حية ، وقد كانت الجامعة كذلك فخورة بكليتيها اللاهوتيتين ، وكان من الواضح أنه فيما يخص العقيدة فقد قامت الكليتان بعمل هو بالضرورة جزء من كل من العمل الجامعى ، حتى ولو لم يكن الجميع ينتمى للعقيدة التى يسعى اللاهوتيون لربطها بالعقل ككل ، ولم يعترض هذا الحس الإدراك الفريد

داخل محيط العقل للتأثر حتى عندما قيل إن أحد زملائنا يرى أن هناك شيئاً شاذاً بشأن جامعاتنا ألا وهو تكريس كليتيها لشيء لم يوجد وهو الرب فحتى أمام مثل هذه الريبة الأصولية لا يزال من الضروري والعقلاني أن نطرح مسألة الرب من خلال أعمال العقل ، وأن نفعل ذلك في إطار تقليدية العقيدة المسيحية ، فهذا كان مقبولاً دون نقاش داخل الجامعة ككل .

مؤخراً تذكرت هذا ، لكن عندما قرأت ما دونه الأستاذ «تيودور خوري» كجزء من حوار دار بين الإمبراطور البيزنطي الموسوعي مانويل الثاني باليجوس وهو دارس فارسي لشتون المسيحية والإسلام وحقيقة كل منهما ، وهو حوار دار بالأحرى عام ١٣٩١م في المنتجعات الشتوية بالقرب من أنقرة ، وعلى الأرجح فإن الإمبراطور نفسه هو الذى أرسى هذا الحوار خلال حصار القسطنطينية فى الفترة من عام ١٣٩٤ إلى ١٤٠٢ وهو ما يفسر سبب ذكر مساجلاته تفصيلياً ، بصورة أكبر من ردود الفارسى المثقف ، والحوار يمتد على نحو واسع ليتناول بناءات العقيدة المتضمنة فى الكتاب المقدس وفى القرآن ، ويتعلق بصورة الرب على نحو خاص ، وكذلك على صورة الإنسان فيما يعود بشكل متكرر بالضرورة إلى القوانين الثلاثة : العهد القديم والعهد الجديد والقرآن .

وفى هذه المحاضرة فإننى أود مناقشة نقطة واحدة هامشية فى حد ذاتها بالنسبة للحوار نفسه والتي أجدها مثيرة للاهتمام فى مجمل إطار قضية العقيدة والعقل والتي تصلح كنقطة بداية لمراجعاتى حول هذه المسألة .

فى المحاورة السابعة التى حررها البروفيسور «خوري» فإن الإمبراطور يعرض إلى موضوع الجهاد «الحرب المقدسة» فلا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ «تنص على أنه لا إكراه فى الدين» وهى إحدى سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام عندما كان محمد لا يزال مهتداً وتعوزه القوة ، ولكن من الطبيعى كذلك بالنسبة للإمبراطور أن يكون قد عرف التعليمات «أوامر اللثام» بشأن الحرب المقدسة والتي ذكرت لاحقاً ودونت فى القرآن ، ودون الدخول فى التفاصيل . مثل الاختلاف فى المعاملة بين أصحاب الكتاب والمشركون فإن «الإمبراطور» ينتقل إلى محدثه بخشونة نوعاً ما للمسألة الجوهرية حول العلاقة بين الدين والعنف عموماً وفى هذه الكلمات :

«أرني ما الذى أتى به محمد من جديد، فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية مثل أمره بنشر العقيدة التى دعا إليها بحد السيف» ويواصل الإمبراطور تفسيره تفصيلاً لأسباب كون نشر العقيدة من خلال العنف أمراً يتنافى مع العقل، فالعنف أمر لا يتمشى مع طبيعة الرب وطبيعة الروح، فالرب لا ترضيه الدماء، وعدم التصرف بعقل هو أمر يتناقض مع طبيعة الرب، فالإيمان يولد من داخل الروح وليس الجسد، فأى شخص يهدى آخر للإيمان هو بحاجة إلى التحدث جيداً، وأن يعقل الأمور بشكل ملائم دون عنف ودون تهديد، فالمرء ليس بحاجة إلى ذراع قوية أو أية أسلحة من أى نوع أو أى من وسائل التهديد بالموت لإقناع روح متعلقة بالإيمان.

إن القول الفصل من النقاش حول التحول العقائدى باستخدام العنف هو أن عدم التصرف وفقاً للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب والكاتب «تيودور خورى» يقول بالنسبة لإمبراطور - بيزنطى صاغته الفلسفة الإغريقية - فإن هذه المقولة هى دليل واضح بذاته، ولكن بالنسبة للتعالم الإسلامية فإن الرب مطلق السموم فمشيئته لا تتماشى مع أى من خصائصنا بما فيها العقلانية، وهنا فإن «خورى» يقتبس كتابات الإسلامى الفرنسى المعروف «آر أرنادليز» الذى يشير إلى أن «ابن حزم» ذهب إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شئ يلزمه بكشف الحقيقة لنا، ف فيما يتعلق بإرادة الله فإنه ينبغى علينا التعبد بشكل وثنى أعمى.

وهنا نجد تشابهاً بين المعنى اليونانى والإنجيلى لتعريف «الإيمان بالله» ولقد غير جون الآية الأولى فى كتاب «سفر التكوين» وبدأ مقدمة أحد الكتب الأربعة الأولى من العهد الجديد بـ «فى البداية» التى استخدمها الإمبراطور: الإله يتصرف بالمبدأ الحاكم للكون . .

والمبدأ الحاكم يعنى العقل والكلمة . . والعقل هنا يتميز بالإبداع والقدرة على التواصل الذاتى، وبذلك تحدث جون فى كلماته الأخيرة فى الإنجيل عن معنى «الإله» وقال: إن كل الطرق غير المستقيمة للإيمان الإنجيلى وجدت استدلالها المنطقى.

ويقول إيثانجيليست: فى البداية ظهر المبدأ الحاكم للكون، والمبدأ الحاكم للكون هو الله، كما أن التصادم الذى نشأ بين التفكير اليونانى والإنجيلى لم يكن من قبيل الصدفة، فالرؤية التى رآها القديس باول - وهى أنه رأى الطرق إلى آسيا مغلقة، وتوسل له رجل مقدونى لكى يأتى لهم وينقذهم - يمكن أن تفسر على أنها خلاصة ضرورة وجود تواصل بين الإيمان الإنجيلى واليونانى.

وفي الحقيقة تم هذا التواصل لفترة، ولكن الاسم الغامض «الرب» مختلف عن كل أسماء الآلهة التي ظهرت، لدرجة أن الفيلسوف سقراط أراد أن يصنع لغزاً مشابهاً لذلك . . وفي العهد القديم كان إله إسرائيل هو إله السماء والأرض، ومع بداية عصر التنوير ازدادت السخرية من الآلهة التي يصنعها الإنسان بيده، وبالرغم من التصادم الذي نشأ بين الإغريق والإنجيل في مسألة الإيمان، إلا أنه أسفر عن حركة فكرية ثرية في الأدب . . واليوم نعرف أن ترجمة اليونان للعهد القديم في الإسكندرية - ترجمة يونانية للتوراة في القرن الثالث قبل الميلاد - تعد نموذج ترجمة للنص العبري، وهذه خطوة فريدة ومهمة في تاريخ ظهور حقائق إلهية، وخطوة لظهور وميلاد المسيحية .

وفي الحقيقة يوجد هنا تصادم بين الإيمان والعقل يتمثل في التصادم بين الحركة التنويرية والدين .

وبأمانة شديدة يجب أن يلاحظ أي إنسان أنه في أواخر العصور الوسطى ظهرت اتجاهات دينية مختلفة كان من الممكن أن تفصل هذا الاستدلال المنطقي بين الروح اليونانية المسيحية . . وفي عقلانية أوجوستاين وتوماس ظهر مذهب الإرادة الذي أدى إلى ادعاء أننا يمكننا معرفة إرادة الرب، ووراء ذلك تكمن حرية الإله، والتي تعني أنه يمكن أن يناقض أفعاله، وأن يتصرف بشكل لا منطقي، وبذلك لا يمكن إضفاء صفة الألوهية والحقيقة عليه .

إن تجلى الإله موجود فقط في عقولنا، فإحساسنا بالحقيقة والخير لا يعد مرآة لصفات الرب الذي تكمن إمكاناته وقدراته وحقائقه خلف قراراته الحقيقية . . وعلى النقيض من ذلك يؤكد إيمان الكنيسة أنه يوجد تجانس بين الإله وبيننا .

كما أن صفة الألوهية لا تنطبق على الرب إذا ابتعدت كينونته عن البشر . يعد تناول الإيمان الإنجيلي والفلسفة اليونانية حدثاً مهماً ليس فقط دينياً، ولكن تاريخياً . إنه حدث ما زال يشغلنا حتى اليوم، وبالرغم من الإنجازات التي حققتها الديانة المسيحية في الشرق إلا أنها بدأت مؤخراً تتسم بطابع نهائي في أوروبا .

لقد كانت المطالبة بعدم «أغرقة» المسيحية «أي إبعاد المسيحية عن الإغريقية» سبباً في مواجهة النظرية التي شكلها التراث اليوناني عن المسيحية . .

لقد أدت هذه المطالبة إلى مناقشات عديدة منذ بداية العصر الحديث وبمنظرة أعمق، مرت مرحلة عدم «أغرقة» المسيحية بثلاث مراحل مختلفة في الأهداف، بالرغم من اتفاقها من حيث المبدأ.

وقد نشأت مرحلة عدم الأغرقة مع بداية الإصلاح في القرن السادس، فلقد شعر الإصلاحيون أنهم يواجهون بإيمان مرتبط بالفلسفة، أى إيماناً مرتبطاً بفكر معين واتجاه معين، وفى الوقت نفسه وجدوا أنهم يتطلعون إلى إيمان بمعنى الكلمة فى الإنجيل . . علاوة على ذلك ظهر علم الغيبيات كعلم منفصل مشتق من مصدر آخر . . الأمر الذى يجب أن يتحرر منه الإيمان لكى يصبح مستقلاً عندما قال الفيلسوف «كانت» إنه بحاجة إلى إعادة التفكير لعمل غرفة خاصة للإيمان، نفذ هذا البرنامج بتطرية شديدة لم يتوقعها الإصلاحيون .

ويعد الاعتقاد الحر فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين إحدى سمات المرحلة الثانية من عملية عدم أغرقة المسيحية، وكان العضو البارز فى هذه المرحلة هو أدولف فون هازاك، وعندما كنت طالبا وفى بداية سنوات تدريسي كان هذا البرنامج مؤثراً لدرجة كبيرة فى الاعتقاد الكاثوليكي؛ حيث تم التمييز بين إله الفلاسفة وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب . . وفى محاضرتى الافتتاحية ببون عام ١٩٥٩م، حاولت التطرق لهذا الموضوع . . لن أكرر ما قلته فى هذه المحاضرة، ولكنى أود أن أصف بصورة وجيزة ما هو الجديد فى هذه المرحلة الثانية من عدم أغرقة المسيحية . . لقد كانت الفكرة الرئيسية لهارنك هى الرجوع إلى السيد المسيح والافتداء بنموذجه، وكانت هذه الفكرة ناتجة عن تراكمات دينية إنسانية . . فلقد وضع السيد المسيح نهاية للعبادة من أجل الأخلاق الإنسانية، وظهر كأب للرسالة الأخلاقية الإنسانية، وكانت الغاية الأساسية هى الوصول بالمسيحية إلى شكل متجانس مع العقل الحديث، شكل متحرر من العناصر الاعتقادية والفلسفية . ما أستطيع أن أقوله عن السيد المسيح إنه رجل ذو عقل عملى، وبالتالي فهو ذو مكانة عالية فى الجامعة . . بالإضافة إلى هذا يعتمد المفهوم الحديث للعقل على مفهوم استدلالى يتأرجح ما بين الأفلاطونية والتعبيرية، فمن ناحية إنها تفترض البناء المادى للأشياء، ومن ناحية أخرى تعبر عن قدرة الطبيعة فى أن تتحمل استقلالنا لها، ولا يبقى سوى أن تكون الاختبارات هى الحد الفاصل النهائى للوصول إلى الحقيقة .

وفى الواقع يؤدي هذا إلى بروز مبدأين خطيرين من خلال الموضوع الذى أثرناه وهما:

أولاً: تعد الحقيقة الناتجة عن استخدام المنطق المادى والتعبيرى حقيقة علمية بحتة، فيجب أن ينظر لأى شىء علمى على أنه مضاد للمعايير . . لذلك فإن العلوم الإنسانية مثل التاريخ وعلم النفس والفلسفة تعد مجالات علمية .

ثانياً: النقطة الأهم هى أن هذه الطريقة تستبعد «البحث عن ذات الإله الأمر الذى يجعله لغزاً غير علمى» .

سنعود إلى هذه المشكلة مؤخراً . حالياً يجب أن نلاحظ أن أى محاولات لجعل الاعتقاد «علمى» قد تنتهى بتقليص المسيحية، ولكن علينا أن نقول المزيد، فالإنسان هو الذى يقلل من نفسه نتيجة التساؤلات التى يطرحها عن أصله ومصيره تلك الأسئلة التى طرحها الدين وعلم الأخلاقيات . . وفى النهاية تقرر تجاربه ما هو مادى وملموس فى الشئون الدينية، وفى الحقيقة «الضمير» هو الحكم الفاصل فيما هو أخلاقى، وفى هذا الاتجاه نلاحظ فقدان الأخلاق والدين قوتهما فى تشكيل مجتمع، واعتبارهما مجرد أشياء شخصية . . إنها حالة خطيرة وصلت إليها الإنسانية . . إن محاولات بناء علم أخلاقى يعتمد على علم النفس والاجتماع محاولات لن تثمر النتائج المرجوة منها .

وقبل أن أختتم يجب أن أشير إلى المرحلة الثالثة من عدم «أغرقة» المسيحية التى هى موجودة الآن . . ففى ظل تجربتنا الملموسة مع التعددية الحضارية، يقال هذه الأوقات إن التضامن الذى حدث بين الاستدلال المنطقى والإغريقى فى أقدم الكنائس كان مزجاً تمهيدياً للحضارات، ويجب ألا يمتد لحضارات أخرى، وقد اقترح البعض الرجوع إلى رسالة العهد الجديد التى تسبق هذا المزج الحضارى . . والعهد الجديد كتب باليونانية؛ ولذلك نجد أنه يحمل فى طياته الإغريقية التى تطورت مثلما تطور العهد القديم . . نعم . . توجد بعض العناصر فى مراحل تطور الكنيسة البدائية التى يجب ألا تنضم إلى كل الحضارات، ومع ذلك فالقرارات الأساسية التى نتجت عن العلاقة بين الإيمان واستخدام الإنسان للعقل جزء من الإيمان نفسه .

وبهذا وصلت إلى نتيجة نهائية . . هذه المحاولة لا تعنى الرجوع إلى عصر ما قبل التنوير ورفض العصر الحديث، فيجب استغلال المظاهر الإيجابية للحدثة . . فهذه

نعمة وهبها الإله لنا . فالقيم الأساسية العلمية هي عزيمة يجب أن تطوع لصالح الحقيقة ، وهي تعكس أحد المبادئ الأساسية للمسيحية . . لا أقصد هنا أن أوجه نقداً سلبياً ، بل أريد أن نوسع مداركنا لمفهوم العقل وتطبيقاته . . فبينما نسعد بوجود احتمالات نجد أخطاراً يجب أن نتغلب عليها . . ولن يحدث ذلك إلا بإدماج العقل مع الإيمان في شكل جديد ، والتخلي عن التقييد الفكري ، وإذا قمنا بهذا سنجد الاعتقاد ينتمي للجامعة في شكله الصحيح مع وجود حوارات لمختلف العلوم . . ولن يكون هذا مجرد نظام تاريخي وعلوم إنسانية بل اعتقاد .

إن التحاور بين الحضارات والأديان ما نحتاجه في هذه الفترة . ففي العالم الغربي تم إثبات أن استخدام العقل الإيجابي بجانب أشكال الفلسفة التي تعتمد على هذا العقل هو الطريق الأمثل .

ومع ذلك نجد أن الدول ذات الحضارات الدينية ترفض استبعاد الألوهية عن عالمية العقل ، وتعتبر ذلك هجوماً حاداً على اعتقاداتها . إن العقل الأعمى بمبدأ الألوهية ، من يقسم الدين إلى جماعات حضارية مختلفة لا يستطيع التواصل مع مبدأ التحاور بين الحضارات . وفي الوقت نفسه كما أشرت من قبل العقل العلمي الحديث بعنصره الأفلاطوني يحمل في طياته سؤالاً أبعد من محتواه . . فالعقل العلمي الحديث عليه أن يقبل الترتيب المنطقي والعقلي للأشياء والتواصل بين أرواحنا والطبيعة ، فبالنسبة للفلسفة والاعتقاد يعد الاستماع إلى الخبرات والتقاليد الدينية للإنسانية مصدراً هاماً للمعرفة ، وتجاهل هذه الأشياء شيء غير مقبول . ولقد تذكرت شيئاً قاله سقراط ليفيد في محادثتهما الأولى عندما أثبت آراء فلسفية خاطئة . . قال سقراط : «سيكون الأمر مفهوماً إذا أصبح شخص ما متعصباً نتيجة كل هذه الشعارات الخاطئة ، ولكنه في النهاية سيخسر الكثير بسبب هذا التعصب الذي سيفقده معرفة حقيقة الوجود» . . وتنطبق هذه المقولة على الغرب ، فالشجاعة هي أن تستعمل العقل ، وهذا ما يعتمد عليه الإيمان الإنجيلي . . لا تتصرف بالمبدأ الحاكم للكون ؛ لأن ذلك فيه تعارض لطبيعة الإله . . فقط باستخدام العقل يمكننا استقبال شركائنا في حوار الحضارات ، وإعادة اكتشاف هذا هو مهمة الجامعة .

الكتاب المقدس بين المذنب والتعريف

تفسير المفسر المسئلة هل يفسح ثغورا للأسرار المقدسة؟

لابد وان يكون باستحقاق كما ذكر بولس الرسول في رسالته الأولى لكورنثوس (المسألة ١٦) وقال لها لابد من تصحيح هذا الوضع أولاً بالرجوع إلى أسلاف الإنجيليين الثانية لها

■ هل كان المفسر الذي قام السيد المصباح بقصوده من المقام مستحقاً؟

●● قال قداسة البابا رافاي هذا السؤال إن المفسر الذي قام السيد المصباح بتحريره كان جماً جيداً وهو يعني انه خير غير مستحقاً لثقتهم من جهة المصنف الذي قبل منه ضمناً مستحقاً لم يحنه من المقام مستحقاً؟

الأسرار القساوية التي تختلف بها الكنيسة الأورثوذكسية وغيرها ركنه غير مجردة بل هيبة التامة بين قديسها وهذا نتيجة اختلافها من قبل الجورسماكت الذين يفسرون بطبع وتفسير الكتيب للكنيسة وهذا لا يعني الاعتراف هذا فضلاً عن ان مناه بعض الكتيب للكنيسة توجد بها هذه الأسرار دون تغيير.

■ في رسالة اخرى طلبت إحدى الحاضرات المسامحة للسلامة من قداسة البابا لعارسة من القتل بعدما تزوجت مطلقاً رخصت الكنيسة منحه تصويهاً للزواج فاقبلت في تغيير الله إلى الكاثوليكية وبعد الزواج وانجبا ثلاثاً فكان رد قداسة البابا ان القتل

متابعة : سر جريت عادل

في الاجتماع الأسبوعي للقداسة البابا شنودة الثالث لم يتابع كم الأسئلة العامة بالروحانيات والأسئلة العامة التي تتناول على قداسة بالاضافة إلى موضوع المعاصرة وكان هذا الأسبوع من طول ١٥٥٤.

■ حول سؤال بعث به أحد الحاضرين عن الأسفار الأخرى من الكتاب المقدس وهل بذلك يكون حراً؟

رد قداسة قديساً ان هناك فرقاً بين المصنف والمصروف فالمصروف من التغيير لكن هناك بعض

صورة تصريح البابا شنودة الثالث

حول الأسفار القانونية المحذوفة من العهد القديم

والتي تم نشرها بصحيفة [وطني] المسيحية المصرية في ١٠/٥/٢٠٠٦م.

الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف

تغيير الملة هل يمنع تناول الأسرار المقدسة؟

فى الاجتماع الأسبوعى لقداسة البابا شنودة الثالث لم يتراجع كم الأسئلة الخاصة بالروحانيات والأسئلة العامة التى تنهال على قداسته، بالإضافة إلى موضوع المحاضرة، وكان هذا الأسبوع عن «طول الأناة».

■ حول سؤال بعثه أحد الحاضرين عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس، وهل بذلك يكون محرقة!

- رد قداسة البابا أن هناك فرقاً بين الحذف والتحريف، فالتحريف هو التغيير، لكن هناك بعض الأسفار القانونية التى تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية وتقرها، وهذه غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا، وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة، وهذا لا يعنى التحريف، هذا فضلاً عن أن هناك بعض الكتب المقدسة توجد بها هذه الأسفار دون تغيير.

■ فى رسالة أخرى طلبت إحدى الحاضرات السماح «والحل» من قداسة البابا لممارسة سر التناول بعدما تزوجت مطلقاً رفضت الكنيسة منحه تصريحاً للزواج، فاضطرا إلى تغيير الملة إلى الكاثوليكية وعقدا الزواج وأنجبا طفلاً، فكان رد قداسة البابا أن التناول لا بد وأن يكون باستحقاق كما ذكر بولس الرسول فى رسالته الأولى لأهل كورنثوس (إصحاح ١١) وقال لها: لا بد من تصحيح هذا الوضع أولاً بالرجوع إلى أسقف الإبيارشية التابعة لها.

■ هل كان الخمر الذى قام السيد المسيح بتحويله من الماء مسكراً؟

- قال قداسة البابا رداً على هذا السؤال: إن الخمر الذى قام السيد المسيح بتحويله كان خمرًا جيداً، وهو يعنى أنه خمر غير مسكر مثلما ذكر عن يوحنا المعمدان الذى قيل عنه خمرًا مسكراً لم يشرب.

JOSEPH RATZINGER

NOW

POPE BENEDICT XVI

WITH CARLO CERAMERI

WITHOUT ROOTS

THE WEST,
RELATIVISM,
CHRISTIANITY,
ISLAM

FOREWORD BY GEORGE WEIGER

TRANSLATED BY MICHAEL MOORE

صورة غلاف كتاب البابا

الذي يتحدث فيه عن مخاوفه من الإسلام..
ومن أن تصبح أوروبا جزءاً من دار الإسلام!

چوزيف راتزينجر

الآن

البابا بينديكت السادس عشر

ومارسيلو پيرا

بلا جذور

الغرب

النسيبة

المسيحية

الإسلام

الناشر Basic Books

نيويورك ٢٠٠٦م

ترجمة صورة غلاف كتاب البابا

المصادر والمراجع

- آدم متز: [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو ريذة. طبعة بيروت سنة ١٩٦٧.
- ابن تيمية: [الفتاوى] طبعة الرياض سنة ١٣٨١هـ.
- ابن حزم: [الفصل في الملل والأهواء والنحل] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.
- ابن عبد البر: [الدرر في اختصار المغازي والسير] تحقيق: د. شوقي ضيف. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.
- ابن هشام- أبو محمد عبد الملك: [مختصر سيرة ابن هشام] طبعة القاهرة سنة ١٤٢٢هـ / سنة ٢٠٠٢م.
- د. أحمد شلبي: [مقارنة الأديان] طبعة القاهرة.
- أرنولد- سيرتوماس: [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- الأفغانى- جمال الدين: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.
- الآثار الكاملة [جمع وإعداد: سيد هادى خسرو شاهى. تقديم: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.
- الجاحظ: [كتاب الحيوان] تحقيق: عبد السلام هارون- طبعة القاهرة- الثانية.

- د. جاك تاجر: [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م] طبعة الهيئة القبطية بالمهجر - مدينة جرmy - أمريكا سنة ١٩٨٤م.
- الجبرتي: [عجائب الآثار في التراجم والأخبار] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.
- جيوم-الفريد: [الفلسفة وعلم الكلام]- بحث منشور بكتاب [تراث الإسلام] ترجمة: جرجيس فتح الله - طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.
- حسن البنا: [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] طبعة القاهرة - دار الشهاب - بدون تاريخ.
- زلمان شازار - محرر: [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ترجمة: د. أحمد محمد هويدى - تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.
- ستونر سوندرز: [الحرب الباردة الثقافية] ترجمة: طلعت الشايب . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢م.
- د. سيجريد هونكة: [الله ليس كذلك] ترجمة: د. غريب محمد غريب . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م. [العقيدة والمعرفة] ترجمة: عمر لطفى العالم . طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.
- الصالحى الشامى - محمد بن يوسف: [سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد] تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد . طبعة القاهرة سنة ١٤١٨هـ / سنة ١٩٩٧م.
- د. صبرى أبو الخير سليم: [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- د. طه حسين: [الفتنة الكبرى] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م.
- الطهطاوى - رفاعه رافع: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.
- عبد الجبار بن أحمد الهمداني - القاضي: [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق: فؤاد سيد . طبعة تونس سنة ١٩٧٢م.

- د. على فهمى خشيم: [الجبائيان: أبو على وأبو هاشم] طبعة طرابلس - ليبيا سنة ١٩٦٨ م.
- الغزالي - أبو حامد: [الاقتصاد فى الاعتقاد] طبعة القاهرة - مكتبة صبيح - بدون تاريخ. [مشكاة الأنوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م.
- رسالة الغزالي إلى ملكشاه] طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م.
- أسرار المخلوقات] طبعة القاهرة سنة ١٩٩١ م.
- المضمون به على غير أهله] طبعة القاهرة - مكتبة الجندى - ضمن مجموعة [القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالي] بدون تاريخ.
- د. فؤاد حسنين على: [التوراة: عرض وتحليل] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦ م.
- فيليب فارح، يوسف كبراج: [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ترجمة: بشير السباعى. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤ م.
- الماوردى: [أدب القاضى] طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م.
- محمد عبده - الأستاذ الإمام: [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م. . .
- وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م. . . سنة ٢٠٠٦ م.
- د. محمد عمارة: [الإسلام فى عيون غربية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤ م.
- [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥ م.
- [الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤ م.
- [الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.
- [الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م.

[فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام] طبعة القاهرة سنة
٢٠٠٣ م.

[الإسلام وتحديات العصر] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤ م.

[الإسلام والحرب الدينية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤ م.

[الإسلام والأقليات] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣ م.

[أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر] طبعة القاهرة سنة
٢٠٠٠ م.

[فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] طبعة القاهرة سنة
٢٠٠١ م.

[شبهات حول الإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٢ م.

[شبهات حول القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٣ م.

[السماحة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.

[حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب] طبعة القاهرة سنة
٢٠٠٥ م.

[الموقف من الديانات الأخرى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٥ م.

[الموقف من الحضارات الأخرى] طبعة القاهرة ٢٠٠٥ م.

[الإصلاح بالإسلام] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.

• مكسيم رودنسون: [الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية] دراسة منشورة

بكتاب [تراث الإسلام] بإشراف «شاخت» و«بوزورت»

ترجمة: د. محمد زهير السمهورى. مراجعة: د. شاکر

مصطفى. طبعة الكويت سنة ١٩٧٨ م.

• مونجمرى وات: [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ترجمة: د. عبد الرحمن

عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١ م.

• هوبرت هيركومر، جيرنوت روتو: [صورة الإسلام فى التراث الغربى] ترجمة:

ثابت عيد. تقديم: د. محمد عمارة. طبعة

القاهرة سنة ١٩٩٩ م.

• يعقوب نخلة روفيلة: [تاريخ الأمة القبطية] تقديم: د. جودت جبره. طبعة مؤسسة مارمرقس . القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

• يوحنا النقيوسى: [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبد الجليل . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

* * *

دوريات

[الأسبوع] القاهرة- عدد ٥ - ١١ - ٢٠٠١م.

[الأهرام] القاهرة - مقال: أسامة سرايا- عدد ١٣ - ١٠ - ٢٠٠٦م.

[البصائر] الجزائر- مقال: د. عمار الطالبي- عدد ١٠ - ٧ - ٢٠٠٦م.

[الحياة] لندن- عدد ٢٧ - ١ - ١٩٩٦م.

[الشرق الأوسط] لندن- ملحق «منتدى الكتب» عدد ٢٦ - ٤ - ٢٠٠٦م.

: مقال عطاء الله مهاجرانى- عدد ٢٦ - ٩ - ٢٠٠٦م.

: مقال السيد ولد أباه- عدد ٢١ - ٩ - ٢٠٠٦م.

: عدد- ١ - ١٠ - ١٩٩٩م.

[العالم الإسلامى] مكة- عدد ١٦ - ١١ - ٢٠٠١م.

[عقيدتى] القاهرة- عدد ٦ - ١١ - ٢٠٠١م.

[لوموند] باريس- مقال هنرى تنك- عدد ١٨ - ٤ - ٢٠٠٦م.

[المدينة] السعودية- ملحق [الرسالة]- عدد ٦ - ١٠ - ٢٠٠٦م.

[نيوزويك] الأمريكية - الطبعة العربية - عدد ١٢ - ٤ - ٢٠٠٥ م.

عدد ١٩ - ٤ - ٢٠٠٥ م.

عدد ٣ - ٥ - ٢٠٠٥ م.

عدد ديسمبر سنة ٢٠٠١ م - فبراير سنة
٢٠٠٢ م.

عدد ٢٧ - ٢ - ٢٠٠٧ م.

[وجهات نظر] القاهرة من خطاب للبابا شنودة الثالث - عدد ديسمبر سنة
٢٠٠٥ م.

[وطنى] - القاهرة - عدد ٢٤ - ٩ - ٢٠٠٦ م.

عدد ٥ - ١٠ - ٢٠٠٦ م.

• الدكتور محمد عمارة •

١- سيرة ذاتية .. فى نقاط

* مفكر إسلامى .. ومؤلف .. ومحقق .. وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» - بالأزهر الشريف .

* ولد بريف مصر - ببلدة «صروه»، مركز «قلين»، محافظة «كفر الشيخ» - فى ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ / ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م - فى أسرة ميسورة الحال - مادياً - تحترف الزراعة .. وملتزمة دينياً .

* قبل مولده، كان والده قد نذر لله : إذا جاء المولود ذكراً، أن يسميه محمداً، وأن يهبه للعلم الدينى - أى يطلب العلم فى الأزهر الشريف .

* حفظ القرآن وجوّده بـ «كُتَّاب» القرية .. مع تلقى العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامى - .

* فى سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م التحق «بمعهد دسوق الدينى الابتدائى» - التابع للجامع الأزهر الشريف .. ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

* وفى المرحلة الابتدائية - النصف الثانى من أربعينيات القرن العشرين - بدأت تفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية والثقافية .. فشارك فى العمل الوطنى - قضية استقلال مصر .. والقضية الفلسطينية - بالخطابة فى المساجد .. والكتابة - نثراً وشعراً - وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» - بعنوان «جهاد» - عن فلسطين - فى أبريل سنة ١٩٤٨م - وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية .. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين .

* فى سنة ١٩٤٩م، التحق «بمعهد طنطا الأحمدي الدينى الثانوى» - التابع للجامع الأزهر الشريف - ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

* وواصل - فى مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية .. ونشر شعراً ونثراً فى صحف ومجلات «مصر الفتاة»، و«منبر الشرق»، و«المصرى»، و«الكاتب» .. وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م فى سنة ١٩٥١م .

* فى سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م التحق «بكلية دار العلوم» - جامعة القاهرة . . وفيها تخرج ، ونال درجة «الليسانس» فى اللغة العربية والعلوم الإسلامية - ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسى - إلى سنة ١٩٦٥ بدلاً من سنة ١٩٥٨م .

* تواصل - فى مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطنى والأدبى والثقافى . . فشارك فى «المقاومة الشعبية» ، بمنطقة قناة السويس ، إبان مقاومة الغزو الثلاثى لمصر سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م . .

* ونشر المقالات فى صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الآداب» . . البيروتية . . وألف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» ، سنة ١٩٥٨م .

* وبعد التخرج من الجامعة ، أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكرى ، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة : رفاة رافع الطهطاوى . . وجمال الدين الأفغانى . . ومحمد عبده . . وعبد الرحمن الكواكبى . . وعلى مبارك . . وقاسم أمين . . وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامى . . مثل : الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا . . والشيخ محمد الغزالى . . وعمر مكرم . . ومصطفى كامل . . وخير الدين التونسى . . ورشيد رضا . . وعبد الحميد بن باديس . . ومحمد الخضر حسين . . وأبى الأعلى المودودى . . وحسن البنا . . وسيد قطب . . والشيخ محمود شلتوت . . إلخ .

* ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم : عمر بن الخطاب . . وعلى بن أبى طالب . . وأبو ذر الغفارى . . وأسماء بنت أبى بكر . . كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامى - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامى ، مثل : غيلان الدمشقى . . والحسن البصرى . . وعمرو بن عبيد . . والنفس الزكية : محمد بن الحسن . . وعلى بن محمد . . والماوردى . . وابن رشد (الحفيد) . . والعز بن عبد السلام . . إلخ . .

* وتناولت كتبه - التى تجاوزت المائة والثمانين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية . . والمشروع الحضارى الإسلامى . . والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية . . وتيارات العلمنة والتغريب . . وصفحات العدل الاجتماعى الإسلامى . . والعقلانية الإسلامية . .

* وحاوّر وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة . .

* وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامى - القديم منه والحديث . . .

* وكجزء من عمله العلمى ومشروعه الفكرى ، حصل - من كلية دار العلوم - فى العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ / سنة ١٩٧٠م .

بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» . . وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ/ سنة ١٩٧٥م، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم» .

* أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة . . وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما . . كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامية، مثل: «موسوعة السياسة»، و«موسوعة الحضارة العربية»، و«موسوعة الشروق»، و«موسوعة المفاهيم الإسلامية»، و«الموسوعة الإسلامية العامة»، و«موسوعة الأعلام» . . الخ .

* نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، منها: «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» - بمصر، و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» - بواشنطن، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر، و«المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» - مؤسسة آل البيت - بالأردن . . و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف . .

* حصل على عدد من الجوائز والأوسمة . . والشهادات التقديرية . . والدروع . . منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» - بلبنان - سنة ١٩٧٢م . . وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . ووسام العلوم والفنون . . من الطبقة الأولى - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . وجائزة على وعثمان حافظ - لمفكر العام - سنة ١٩٩٣م . . وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . . سنة ١٩٩٧م . . ووسام التيار القومي الإسلامي - القائد المؤسس - سنة ١٩٩٨م . . وجائزة مؤسسة أحمد كانو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين سنة ٢٠٠٥م .

* جاوزت أعماله الفكرية - تأليفًا وتحقيقًا - مائة وثمانين كتابًا، وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات . .

* ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية . . مثل: التركية، والمالاوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية .

* الاسم - رباعياً: محمد عمارة مصطفى عمارة . .

* والعنوان: جمهورية مصر العربية - ١٣ ب شارع كورنيش النيل - أغاخان - القاهرة - هاتف ٢٢٠٥٥٦٦٢ - فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢ .

٢- ثبت بأعماله الفكرية:

أ- تأليف:

- ١ - معالم المنهج الإسلامى - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ٢ - الإسلام والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ٣ - نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ٤ - معارك العرب ضد الغزاة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م.
- ٥ - الغارة الجديدة على الإسلام - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ٦ - جمال الدين الأفغانى بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ٧ - الشيخ محمد الغزالى : الموقع الفكرى والمعارك الفكرية - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ٨ - الوعى بالتاريخ وصناعة التاريخ - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ٩ - التراث والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م.
- ١٠ - الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ١١ - الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ١٢ - الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا : إسلامية الدولة والمدنية والقانون - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٩ م.
- ١٣ - الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٧ م.
- ١٤ - الإسلام وفلسفة الحكم - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م.
- ١٥ - معركة الإسلام وأصول الحكم - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م.
- ١٦ - الإسلام والفنون الجميلة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م.
- ١٧ - الإسلام وحقوق الإنسان - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م.
- ١٨ - الإسلام والثورة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.

- ١٩ - الإسلام والعروبة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٢٠ - الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٢١ - هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٢٢ - سقوط الغلو العلماني - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م .
- ٢٣ - الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟ - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٢٤ - الطريق إلى اليقظة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٠ م .
- ٢٥ - تيارات الفكر الإسلامي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٢٦ - الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م .
- ٢٧ - المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٢٨ - عندما أصبحت مصر عربية إسلامية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م .
- ٢٩ - العرب والتحدى - دار الشروق - سنة ١٩٩١ م .
- ٣٠ - مسلمون ثوار - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٣١ - التفسير الماركسى للإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م .
- ٣٢ - الإسلام بين التنوير والتزوير - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م .
- ٣٣ - التيار القومى الإسلامى - دار الشروق - سنة ١٩٩٦ م .
- ٣٤ - الإسلام والأمن الاجتماعى - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م .
- ٣٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٣٦ - الجامعة الإسلامية والفكرة القومية - دار الشروق - سنة ١٩٩٤ م .
- ٣٧ - قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٣ م .
- ٣٨ - عمر بن عبد العزيز - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٣٩ - جمال الدين الأفغانى : موقظ الشرق - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٠ - محمد عبده : تجديد الدنيا بتجديد الدين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م .

- ٤١ - عبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م.
- ٤٢ - أبو الأعلى المودودي - دار الشروق - سنة ١٩٨٧ م.
- ٤٣ - رفاعة الطهطاوي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م.
- ٤٤ - علي مبارك - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٥ - قاسم أمين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٤٦ - التحرير الإسلامي للمرأة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٤٧ - الإسلام في عيون غربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٤٨ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٤٩ - في فقه الصراع على القدس وفلسطين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٥٠ - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.
- ٥١ - الإسلام وتحديات العصر - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٥٢ - الإسلام في مواجهة التحديات - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٥٣ - القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار - نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.
- ٥٤ - هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٥٥ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٥٦ - الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٥٧ - أبو حيان التوحيدى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٥٨ - ابن رشد بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٥٩ - الانتماء الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٠ - التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦١ - صراع القيم بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٢ - الدكتور يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.

- ٦٣ - عندما دخلت مصر في دين الله - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٦٤ - الحركات الإسلامية : رؤية نقدية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٦٥ - المنهج العقلي في دراسات العربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٦٦ - النموذج الثقافي - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٦٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٦٨ - الثواب والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٦٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٠ - التقدم والإصلاح : بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧١ - الحملة الفرنسية في الميزان - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٢ - الحضارات العالمية : تدافع أم صراع؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٣ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٤ - القدس بين اليهودية والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٧٥ - الأقليات الدينية والقومية : تنوع ووحدة أم تفتت واختراق؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م .
- ٧٦ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م .
- ٧٧ - خطر العولمة على الهوية الثقافية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٧٨ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م .
- ٧٩ - في التحرير الإسلامي للمرأة - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م .
- ٨٠ - المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م .
- ٨١ - الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٨٢ - السماحة الإسلامية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٨٣ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي : هل كان علمانياً؟ - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م .

- ٨٤- أزمة الفكر الإسلامى الحديث - نهضة مصر - ٢٠٠٦ م .
- ٨٥- هل المسلمون أمة واحدة؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٨٦- الغناء والموسيقى : حلال أم حرام؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٨٧- شبهات حول القرآن الكريم - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م .
- ٨٨- تحليل الواقع بمناهج العاهات المزمنة - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م .
- ٨٩- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م .
- ٩٠- الظاهرة الإسلامية - المختار الإسلامى - سنة ١٩٩٨ م .
- ٩١- الوسيط فى المذاهب والمصطلحات الإسلامية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٩٢- إسلاميات السنهورى باشا - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٩٣- النص الإسلامى بين الاجتهاد والجمود والتاريخية - دار نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٩٤- أزمة الفكر الإسلامى المعاصر . نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٩٥- المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٨٣ م .
- ٩٦- العطاء الحضارى للإسلام - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ٩٧- إسلامية المعرفة ماذا تعنى؟ - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٩٨- الإسلام وضرورة التغيير - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ٩٩- الإسلام والحرب الدينية - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٠٠- ثورة الزنج - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م .
- ١٠١- دراسات فى الوعى بالتاريخ - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م .
- ١٠٢- الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٩ م .
- ١٠٣- الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - سنة ١٩٨٠ م .
- ١٠٤- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

- ١٠٥ - فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ١٠٦ - سلامة موسى : اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٥ م .
- ١٠٧ - العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م .
- ١٠٨ - عالمنا : حضارة أم حضارات؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م .
- ١٠٩ - الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م .
- ١١٠ - العلمانية بين الغرب والإسلام - دار الوفاء - سنة ١٩٩٦ م .
- ١١١ - محمد عبده : سيرته وأعماله - دار القدس - بيروت سنة ١٩٧٨ م .
- ١١٢ - نظرة جديدة إلى التراث - دار قتيبة - دمشق - سنة ١٩٨٨ م .
- ١١٣ - القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - دار الفكر - القاهرة سنة ١٩٥٨ م .
- ١١٤ - الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت - القاهرة سنة ١٩٨٢ م .
- ١١٥ - ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت سنة ١٩٨٣ م .
- ١١٦ - رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة - حوار - دار الكتاب الحديث - بيروت سنة ١٩٨٩ م .
- ١١٧ - نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة - القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- ١١٨ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨ م .
- ١١٩ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨ م .
- ١٢٠ - إسرائيل هل هي سامية؟ - دار الكاتب العربي - القاهرة سنة ١٩٦٨ م .
- ١٢١ - الإسلام وأصول الحكم : دراسات ووثائق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٨٥ م .
- ١٢٢ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة ١٩٩٧ م .
- ١٢٣ - الاستقلال الحضاري - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .
- ١٢٤ - الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت سنة ١٩٨٤ م .

- ١٢٥ - الإسلام والعروبة والعلمانية - دار الوحدة - سنة ١٩٨١ م .
- ١٢٦ - الفريضة الغائبة : عرض وحوار وتقييم - دار الوحدة - سنة ١٩٨٣ م .
- ١٢٧ - التراث فى ضوء العقل - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٢٨ - فجر اليقظة القوميّة - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٢٩ - العروبة فى العصر الحديث - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٣٠ - الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٣١ - أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .
- ١٣٢ - فى المسألة القبطية : حقائق وأوهام - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٣ - الإسلام والآخر : من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٤ - فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٣ م .
- ١٣٥ - الإسلام والأقليات : الماضى والحاضر والمستقبل - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٣ م .
- ١٣٦ - مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٧ - الغرب والإسلام : أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٨ - مقالات الغلو الدينى واللادينى - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٩ - فى فقه الحضارة الإسلامية - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٣ م .
- ١٤٠ - الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٥ م .
- ١٤١ - فى المشروع الحضارى الإسلامى - مركز الراية - جدة سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٤٢ - شخصيات لها تاريخ - مركز الراية - جدة سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٤٣ - شبهات وإجابات حول القرآن الكريم - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠١ م .

- ١٤٤ - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -
سنة ٢٠٠١ م.
- ١٤٥ - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،
ج ١، ٢، ٣ - سنة ٢٠٠١ م.

ب- دراسة وتحقيق:

- ١٤٦ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
سنة ١٩٧٣ م.
- ١٤٧ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
سنة ١٩٧٩ م.
- ١٤٨ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م.
- ١٤٩ - الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م.
- ١٥٠ - طبائع الاستبداد - للكواكبي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٧ م.
- ١٥١ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٦ م.
- ١٥٢ - رسائل العدل والتوحيد - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٧ م.
- ١٥٣ - كتاب الأموال - لأبى عبيد القاسم بن سلام - دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٩ م.
- ١٥٤ - رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣ م.
- ١٥٥ - الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م.
- ١٥٦ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - لابن رشد - دار المعارف -
سنة ١٩٩٩ م.
- ١٥٧ - التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ - لمحمد مختار باشا المصرى - المؤسسة العربية -
بيروت سنة ١٩٨٠ م.
- ١٥٨ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة
مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ١٥٩ - السنة والبدعة - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.

- ١٦٠ - روح الحضارة الإسلامية - للشيخ الفاضل ابن عاشور - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م .
 ١٦١ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولى - نهضة مصر ٢٠٠٦ م .

ج - مناظرات :

- ١٦٢ - أزمة العقل العربى - دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٣ م .
 ١٦٣ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ .
 ١٦٤ - تهافت العلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ .

د - بالاشتراك مع آخرين :

- ١٦٥ - الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية - الكويت سنة ١٩٨٩ م .
 ١٦٦ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ١٩٧٢ م .
 ١٦٧ - محمد ﷺ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢ م .
 ١٦٨ - عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٣ م .
 ١٦٩ - على بن أبى طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٤ م .
 ١٧٠ - قارعة سبتمبر - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٢ م .

• صدر حديثاً :

- ١٧١ - إحياء الخلافة الإسلامية : حقيقة أم خيال - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٥ م .
 ١٧٢ - حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠٢ م .
 ١٧٣ - الشيخ الشهيد أحمد ياسين . . وفقه الجهاد على أرض فلسطين - مركز الإعلام العربى - القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م .
 ١٧٤ - الإصلاح بالإسلام - نهضة مصر سنة - ٢٠٠٥ م .
 ١٧٥ - الإمام محمد عبده : مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام - مكتبة الإسكندرية - سنة ٢٠٠٥ م .
 ١٧٦ - الفاتيكان والإسلام : أمى حماقة؟ أم عداء له تاريخ؟؟ - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٧ م .
 ١٧٧ - مقام العقل فى الإسلام - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٧ م .

- ١٧٨ - الفتوحات الإسلامية: تحرير . . أم تدمير؟ - تحت الطبع .
 ١٧٩ - فوائد البنوك: حلال أم حرام؟ - تحت الطبع .
 ١٨٠ - القرآن يتحدى - تحت الطبع .
 ١٨١ - من أعلام الإحياء الإسلامي - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٢ - الإصلاح الدينى فى القرن العشرين - الشيخ المراغى نموذجاً - نهضة مصر -
 سنة ٢٠٠٧ م .

• سلسلة (هذا هو الإسلام) - مكتبة الشروق الدولية :

- ١٨٣ - الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٤ - السماحة الإسلامية، حقيقة الجهاد . . والقتال . . والإرهاب - طبعة القاهرة
 سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٥ - احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٦ - الموقف من الديانات الأخرى، الدين والدولة - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٧ - الموقف من الحضارات الأخرى، أسباب انتشار الإسلام - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٦ م .
 ١٨٨ - قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى - طبعة القاهرة
 سنة ٢٠٠٦ م .
